



الطائفة المنيورة الثالثة

سلسلة الله والإنسان

[٢]

الوجود مع الله



البابا شنوده الثالث

سلسلة الله والإنسان

[٢]

الوجود مع الله

BEING WITH GOD
BY H.H. POPE SHENOUDA III

1st print
January 1982

الطبعة الأولى
يناير ١٩٨٢



عمارة عمارة
الابا شتودة الثالث
بابا الإسكندرية ويطن يروى انكازة الرئيس

البابا شنوده الثالث

سلسلة الله والإنسان

[٢]

الوجود مع الله

BEING WITH GOD
BY H.H. POPE SHENOUDA III

1st print
January 1982

الطبعة الأولى
يناير ١٩٨٢

باسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد - آمين

تصدير

نقدم لك أيها القارىء العزيز خمس محاضرات ألقيت في الكاتدرائية الكبرى أيام الجمعة من أول مايو ١٩٧٠ إلى ٥ يونيو ١٩٧٠ ، عن « الوجود مع الله » . وذلك في فترة الخمسين يوماً المقدسة ، والكنيسة تتذكر وجود التلاميذ في حضرة الرب ، في تلك الأيام المملوءة فرحاً .

وتطرق هذه المحاضرات إلى حقيقة الوجود مع الله والإحساس بهذا الوجود .

والأوقات التي نحس فيها أننا مع الله .

وشهوة الوجود مع الله .

والمشاعر والعلامات التي تصحب الوجود مع الله : مثل الحب ،

الفرح ، السلام ، الخشوع ، البر والقداسة ، الشجاعة وعدم الخوف ...

نقدمها لك بعد مرور أحد عشر عاماً على إلقائها ، لعلك لم تسمعها في

ذلك الحين .

شنوده الثالث

[١]

الوجود مع الله

« الذين أراهم أيضاً نفسه حياً ، براهيمين
كثيرة ، بعدما تألم » ، « وهو يظهر لهم أربعين
يوماً ، ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت
الله » .

(أع ١ : ٣)

هذه الأربعين يوماً ...

أود أن أكلّمكم اليوم عن هذه الأربعين يوماً ، التي قضاها المسيح مع تلاميذه بعد القيامة ، وعن دلالاتها ، والفوائد الروحية التي نجنيها منها ...

أعمال كثيرة عملها الرب قبل صلبه وموته عنا ، وأعمال أخرى عملها بعد قيامته ... فقد قضى هذه الأربعين يوماً مع تلاميذه ، يحدثهم عن الأمور المختصة بالملكوت :

يضع لهم أساس الكنيسة ، ويسلمها عقائدها وطقوسها ، يسلمهم الأمور الخاصة بالرعاية ، ويشبّتهم في الإيمان ...

يحولهم من الخوف والفرع والإضطراب والشك ، إلى اليقين والقوة ، في صلابة الإيمان . يجعلهم بعد الأربعين يوماً مستعدين أن يجابهوا العالم كله قلب قوى . لقد أخرج من العلية هؤلاء الخائفين المختبئين ، لكي ينشروا لإيمان في العالم كله ...

كانت أياماً لازمة لتأسيس الكنيسة . وكانت أيام فرح :

لقد قال لهم الرب من قبل « ولكن حزنكم يتحول إلى فرح ... سأراكم فتفرح قلوبكم . ولا ينزع أحد فرحكم منكم » (يوحنا : ١٦ ، ٢٠ ، ٢٢) .

واحتفالاً بهذا الفرح ، لا تصوم الكنيسة ، ولا تنقطع عن الطعام ، لأن الرب قال : هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس معهم ؟! مادام العريس معهم لا يستطيعون أن يصوموا ، ولكن ستأتي أيام ، حين يرفع العريس عنهم ، فحينئذ يصومون (مر ٢: ١٩ ، ٢٠) .

وذلك فحتى صوم يومي الأربعاء والجمعة ، الذي تصومه الكنيسة على مدار السنة ، ولا تمنعه سوى الأعياد السيدية الكبرى ، هذا الصوم يمتنع في هذه الأيام ، التي لا نذكر فيها الصلب ولا التآمر ، إنما نذكر وجود الرب مع تلاميذه ...

أيام الفرح هذه ، أيام لقاء الرب بخاصته وأحبائه ، ليس فيها أيضاً مطانيات تذلل ، ولا فيها ألحان حزن ... حتى أنه إذا توفي خلالها أحد المؤمنين ، يدخل الكنيسة بلحن الفرح ، بلحن القيامة ، ولا تسمعون مطلقاً لحنا حزينا في الحنازات ...

إنها أيام جميلة في اختبارها الروحية ، وفي أحداثها ، وفي فاعليتها . وأفضل تدريب فيها هو اختبار الوجود مع الله ...

الله مع أحبائه ...

كان التلاميذ فرحين إذ رأوا الرب (يوحنا ٢٠ : ٢٠) .

وكان الرب فرحاً أيضاً بوجوده وسط أحبائه .

هذا الذي « أحب خاصته الذين في العالم ، أحبهم حتى المنتهى »
(يوحنا ١٣ : ١) ... إنه يريد أن يكون معنا ، وأن نكون نحن أيضاً معه ، الآن
والى إنقضاء الدهر ...

أليس اسمه عمانوئيل ، الذي تفسيره الله معنا (مت ١ : ٢٣)

لذلك قال لتلاميذه في يوم الخميس الكبير :

« أنا ماض لأعد لكم مكاناً . وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً ،
أتى أيضاً وأخذكم إليّ ، حتى حيث أكون أنا ، تكونون أنتم
أيضاً » (يوحنا ١٤ : ٣) .

ونفس هذا المعنى ، قاله في مناجاته للآب :

« أيها الآب ، أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني ، يكونون معي
حيث أكون أنا » (يوحنا ١٧ : ٢٤) .

إنه لا يريد فقط أن نكون معه في الأبدية ، إنما يعدنا بذلك على
لأرض أيضاً ، فيقول « ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر »

(متى ٢٨: ٢٠) وأيضاً « حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمى ، فهناك أكون في وسطهم » (متى ١٨: ٢٠) .

وبالنسبة إلى كل فرد يحبه ، يقول « إن أحبني أحد يحفظ كلامي ، ويحبه أبي ، وإليه تأتي ، وعنده نصنع منزلاً » (يو ١٤: ٢٣) .

وليس فقط عن الأحباء ههنا ، بل أيضاً عن الذين انتقلوا إلى السفردوس ، قال لليس اليمين « اليوم تكون معي في الفردوس » (لو ٢٣: ٤٢) .

ومع الخدام والرعاة ، يقول عنه سفر الرؤيا « المسك السبعة الكواكب في يمينه ، الماشى في وسط السبع المناثر الذهبية » (رؤ ١: ٢) أي أنه في وسط الكنائس ، وفي يديه رعاتها ...

هذا الذي يوجد معنا ، على الأرض ، وفي الفردوس ، وفي الأبدية ، في وسط الكنائس ، ومع الرعاة ، ومع المصلين في كل مكان على الأرض ، ومع كل إنسان يحبه ...

ترى على أي شيء يدل هذا ؟

أيدل هذا على محبته ، أم على لاهوته إذ هو في كل مكان ؟ أم على الأقل ... وجوده معنا ...

أيضاً في مجيئه الثاني ، نلمح نفس هذه الحقيقة : سيأتي على السحاب ، ومعه ربوات قديسيه (يه ١٤) . وحينما يجلس للدينونه ، يكون أحبائه معه «... على اثني عشر كرسيّاً ، يدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر» (متى ١٩: ٢٨) .

وفي هذا المجيء الثاني ، يقول القديس بولس الرسول :
« ثم نحن الأحياء الباقين ، سنخطف معهم جميعاً في السحب ، لملاقاة الرب في الهواء . وهكذا نكون كل حين مع الرب . لذلك عزوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام » (١ تس ٤: ١٧، ١٨) .

نعم ، ما أحلى هذه الانشودة : ونكون كل حين مع الرب .
لذلك عزوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام ...
حقاً ، إن الوجود كل حين مع الرب ، هو « ما لم تره عين ، وما لم نسمع به أذن ، ولم يخطر على قلب بشر . » .

ما أجمل أن الرب في التجلي ، لم يكن وحده ...

ظهر معه في هذا التجلي موسى وإيليا ، رمزاً للمتزوجين والبتولين ، ورمزاً للذين ماتوا والذين لم يموتوا بعد ، ورمزاً لأهل الوداعة يمثلهم موسى (عد ١٢: ٣) ، وأهل الخزم يمثلهم إيليا (١ مل ١٨: ٤٠) . الكل مع الرب على جبل التجلي ...

ولكى تكمل الصورة ، في حادثة التجلي . قال الكتاب إن الرب أخذ
سعه إلى الجبل بطرس و يعقوب و يوحنا (متى ١٧ : ١) ... فكانوا معه ..
وأوا هذا المجد ، وسمعوا الصوت من السحابة ...

ومجد التجلي ، يذكرنا أيضاً باورشليم السمائية ، حيث نرى الله يسكن
مع شعبه . وفي ذلك يقول القديس يوحنا الراهب : وسمعت صوتاً عظيماً
من السماء قائلاً :

« هوذا مسكن الله مع الناس . وهو سيسكن معهم » ،
« وهم يكونون له شعباً . والله نفسه يكون معهم ، إلهاً
لهم » (رؤيا ٢١ : ٣) .

إنها نفس الصورة القديمة الخيمة الاجتماع « الله وسط شعبه » .
ولكنها هنا في مجد وحب وبر ، حيث لا خطية من الناس تحتاج إلى
ذبيحة ، بل الكل طاهر ...

كل هذا نتذكره في الأربعين يوماً ، ونحن نضع أمامنا صورة الرب
وسط تلاميذه القديسين ، أحبائه وأولاده ...

إننا في هذه الأيام نحتفل بوجود الله معنا ، أو على الأقل نطلب إليه
ذلك ، كما فعل تلميذا عمواس ، إذ « ألزماء قائلين :

أمكث معنا ، لأنه نحو المساء ، وقد مال النهار (لو ٢٤ : ٢٩)

يقول الإنجيل ، مكملاً هذا المعنى الجميل ، إنه « دخل ليمكث معها .
ولما اتكأ معها ، أخذ خبزاً وبارك وكسر ، وناولها . فانفتحت أعينها
وعرفاه » ...

ما أحوج كلاً منا أن يقول له : امكث معي يا سيدي . وكما باركت
في ذلك الزمان ، الآن أيضاً بارك ...

من ذلك الزمان ...

إن قصة « الله معنا » هي قصة قديمة ، ودائمة ... ما أكثر ما ترددت في
الكتاب ، وسمعتها واختبرها آباؤنا القديسون ..

بدأت منذ كان الله مع آدم في الفردوس ...

وهناك كان يكلمه ، ويباركه ، ويمنحنا أيضاً سلطاناً (تك ١) .
وبالخطية زال الإحساس بالوجود في الحضرة الإلهية ، وشعر الخاطيء
بانفصاله عن الله . وظهر هذا الانفصال في عمقه ، حينما صرخ قايين قائلاً
للرب « ذنبي أعظم من أن يحتمل . إنك قد طردتني اليوم عن وجه
الأرض ، ومن وجهك أختني » (تك ١٤ : ١٣ ، ١٤) .

نعم ، إن الخطية تسبب انفصلاً عن الله ...

فيها يصرخ الخاطيء ويقول « لا تطرحني من قدام وجهك ، وروحك
القدوس لا تنزعه مني » (مز ٥٠) « لا تصرف وجهك عني » « حتى متى
تجيب وجهك عني » (مز ١٢) .

حيثما يتعد الإنسان عن الله ، يحس الله مبتعداً عنه ...

وأحياناً يحس ذلك وقت الخوف . والخوف ليس من الإيمان .

وهكذا يقول المرتل في خوفه من مؤامرات الأشرار « لماذا يارب تقف بعيداً . لماذا تختفي في أزمنة الضيق ؟ » (مز ١٠: ١) .

لذلك يحرص الله أن يعزى أولاده ، ويشعرهم بوجوده معهم في كل ضيقاتهم . وهكذا قال لعبده يشوع بعد موت موسى :

« كما كنت مع موسى ، أكون معك . لا أهملك ولا أتركك »

تشدد وتشجع . لا ترهب ولا ترتعب . لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب ... لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك » (يش ١ : ٥ ، ٩) .

نفس التشجيع ، كان أيضاً من الله لأرمياء الصغير :

« لا تخف من وجوههم ، لأنى أنا معك لأنقذك ، يقول الرب »
« يحاربونك ولا يقدرون عليك ، لأنى أنا معك يقول الرب ، لأنقذك »
« هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة ، وعمود حديد ، وأسوار نحاس على كل الأرض » (أر ١ : ٨ ، ١٩ ، ١٨) .

نفس التشجيع الذى كان ليشوع وأرمياء ، كان أيضاً لبولس :

قال الرب لبولس لما قاومه اليهود جداً فى كورنثوس :

« لا تخف ، بل تكلم ولا تسكت . لأني أنا معك ، ولا يقع بك أحد ليؤذيك » (أع ١٨ : ٩ ، ١٠) .

إن الشعور بوجود الله مع الإنسان ، يعطيه قوة وثقة .

لهذا فإن مراحم الله وتعزياته تشعر الإنسان بوجود الله معه ، لكي يتعزى ويتقوى ، وتكون له جسارة قلب ، من النعمة ، لمواجهة كل ضيق ، فلا يخاف من أعدائه مهما اعتزوا جداً ...

وفي قصة الثلاثة فتية ، لم يكن الأمر مجرد وعود إلهية . إنما كان الرب معهم فعلاً ، وهم في أتون النار ، فلم تقو على ايذائهم ، وسبحوا الله داخل الأتون ...

إن قصة الثلاثة فتية مثال قوى للوجود مع الله .

وقد كانت هذه القصة مصدر عزاء عميق للأجيال ، ونحن نتغنى بها في التسبحة كل يوم حينما نرتل الابصلمودية ...

وكما أن الثلاثة فتية لم يخافوا النار لشعورهم بأن الله معهم ، كذلك لم يخف دانيال من إلقاءه في جب الأسود ... وكذلك كان المرتل مطمئناً ، حينما قال :

« إن سرت في وادى ظل الموت ، لا أخاف شراً ، لأنك أنت معي » (مز ٢٣ : ٤) .

وبنفس الروح قال « الرب نوري وخلاصي ممن أخاف؟! ... إن يحاربني جيش فلن يخاف قلب . وإن قام على قتال ، فني ذلك أنا مطمئن » (مز ٢٧: ١، ٢) .

طالما السحابة فوق رأسك ، فأنت لا تخاف حتى إن دخلت في قلب البحر الأحمر ، أوتت سنوات في بركة سيناء ..

إن الشعور بالوجود في حضرة الله ، لا يجعل الإنسان يخاف ، مهما كانت الأخطار معدة . وأيضاً هناك فائدة أخرى :

شعورك بالوجود في حضرة الله ، يمنحك استحياء فلا تخطيء .

هكذا كان يوسف الصديق ... كان يشعر أنه واقف قدام الله ، والله يراه . فكيف يخطيء ، ويفعل ذلك الشر العظيم قدام الله !! وهكذا شعوره بأنه يتعامل مع الله ، أعطاه استحياء في قلبه ، وارتفاعاً عن مستوى الخطية .

حقاً ، إن الإنسان أثناء ارتكابه للخطية لا يكون في حالة شعور بالوجود في الحضرة الإلهية ... لا يكون الله أمام عينيه ، ولا في فكره ، ولا في قلبه ... بل يكون في حالة انفصال عنه ، لأنه لا شركة للنور مع الظلمة .

على أنه كثيراً ما يحيط بنا الله وقت الخطية ، لكي ينقذنا منها ، كما يحيط بنا وقت الخطر أو الخوف لينقذنا منها ... ولكننا للأسف قد لانشر

بيد الله التي تلمسنا لنستيقظ ، أو تلمسنا لتتقوى . ما أعمق قول القديس
اوغسطينوس :

كنت يارب معي ، لكنني من فرط شقوتي ، لم اكن معك .

إن وجود الله شيء ، والإحساس بوجوده شيء آخر ..

عدم إدراك وجود الله ...

قد يكون الله مع بعض الناس ، ومع ذلك فهم لا يشعرون بوجوده
معهم ، ربما لشيء في فكرهم ، أو لظروف تحيط بهم ، تعوقهم عن
الإحساس بوجود الله وعمله ..

* مثال ذلك : جدعون ...

كان الله معه . وقد شهد ملاك الرب بذلك قائلاً له : الرب معك
يا جبار البأس (قض ٦ : ١٢) . أما جدعون الذي لم يكن يشعر بوجود الله
في حياة الشعب ، فقد ردّ على الملاك قائلاً « اسألك ياسيدي : إن كان
الرب معنا ، فلماذا أصابتنا كل هذه ؟ وأين كل عجائبه التي أخبرنا بها
آباؤنا ؟ ... » .

كان إيمان جدعون في بداعته ، يريد أن يلمس بأصابعه ...
ولم يكن يتصور وجود الله ، يتفق مع وجود الضيقات !!

في منطقته وقتذاك : إما أن يكون الله موجوداً معهم ، وحينئذ لا يمكن أن تصيبهم الضيقات ... ! وأما أن تكون الضيقات الموجودة دليلاً على عدم وجود الله معهم ... !

إنه الإيمان ، بدون الصليب ! أو الإيمان الذي يريد الحياة سهلة ! أو الإيمان الذي يضع لله توقيتاً عاجلاً لعمله ، ولا يستطيع أن ينتظر الرب من محرس الصبح إلى الليل (مز ١٣٠) .

✽ مثال آخر : المجدلية ، وتلميذا عمواس ...

المجدلية ظهر لها السيد المسيح بعد قيامته ، فظنته البستاني . وكان معها ولكنها لم تعرف أنه هو . وعلى الرغم من وجوده معها ، كانت لا تزال تفكر أن جسده قد سُرق ، وربما يكون البستاني قد سرقه ، وتساءل : قل لي أين وضعته ؟! (يو ٢٠: ١٤ ، ١٥) .

وتلميذا عمواس ، ظهر لها أيضاً السيد المسيح ، وتحدث معها ، ومع أن قلبها كان ملتبهاً فيها أثناء حديثه معها ، ولكن «أعينها أمسكت عن معرفته» . ولم يدركا أنه هو ، إلا بعد اختفائه عنها ! (لو ٢٤: ١٦ ، ٣٢) .

ما أكثر ما يكون الرب معنا ، ونحن لا ندرك !

✽ مثال صموئيل النبي :

تحدث إليه الرب ثلاث مرات في طفولته ، وهو لا يميز الصوت ،

يظن أنه صوت عالي الكاهن ، وليس صوت الله !

وفي المرة الرابعة ، لما أجاب « تكلم يا رب فإن عبدك سامع ، كان
ماء على نصيحة عالي ، وليس لموهبة تمييز (١ صم ٣ : ٤ - ١٠) . ولكن
موثيل نما في الروح ، وصار يشعر بالوجود الإلهي ، ويميز صوت الله ،
كلم إليه أو على فمه .

مثال أبينا إبراهيم :

زاره الرب مع ملاكين ، ولكنه لم يميز أن هذا هو الرب ، ولم يشعر
لوجود الإلهي ، بدليل قوله له : « ياسيد ، إن كنت قد وجدت نعمة في
بنيك ، فلا تتجاوز عبدك . ليؤخذ قليل من ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا
ت الشجرة . فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم
ازون » (تك ١٨ : ٣ - ٥) .

ولو شعر أنه موجود في حضرة الله وملائكته ، ما كان يحضر كسرة خبز
تسندوا قلوبهم ! ما كان يذبح عجلاً ، ولا يصنع لهم خبز ملة ، ولا يحضر
م زبداً ولبناً .. !

على أن أبانا إبراهيم أدرك أنه في حضرة الله فيما بعد ، لما أعلن له الله

. ٤

مثال اللص الشمال :

كان إلى جوار الرب على الصليب ، ولم يستفد من هذه الفرصة الإلهية ، بل كان يجدف عليه . ولم يدرك أنه هو ، حتى يقول له مع زميله اللص اليمين « اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك » . بل ظل يستهزأ به . ومات هذا اللص في خطيئته ولم يستطيع أن يقول مع بولس الرسول « مع المسيح صلبت » (غل ٢ : ٢٠) لأنه لم يؤمن أنه المسيح . إنه لم يمت مع المسيح كاللص اليمين وإنما مات إلى جواره ، وقلبه بعيد عنه .

مثال الظلمة لم تدركه :

عاش المسيح وسط أهله وعشيرته ، ولم يدركوا أنه هو . « إلى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله » هذا النور الحقيقي أشرق في الظلمة « والظلمة لم تدركه » (يوا : ٥ ، ١١) . ومع أنه عاش بينهم ، لم يشعروا بوجوده ، بل قالوا عليه إنه ضال ، ومضل ، وكاسر للسبت ، وناقض للشرية ، وقالوا إنه ببعلزبول يخرج الشياطين . ورفضوه وقدموه للصلب ...

وحتى أهل قريته لم يؤمنوا به ، وعيروه بأنه ابن النجار ، حتى قيل « ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه » !

كل هؤلاء وأمثالهم ، كان الله موجوداً معهم ، ولكنهم لم يتمتعوا بالوجود الإلهي ، ولم ينالوا بركته وفاعليته .

إن الوجود مع الله ، ليس مجرد وجود مكاني ، إنما هو وجود قلبي
عاطفي وعملی ، له آثاره ...

• مثال الشيطان :

في قصة أيوب ، كان الشيطان واقفاً في الحضرة الإلهية « جاء بنو الله
سئلوا أمام الرب . وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم » (أى ١ : ٦) . ومرة
خرى « جاء الشيطان أيضاً في وسطهم ، ليمثل أمام الرب » (أى ٢ : ١) .
كان له شرف الحديث مع الله . ولكنه لم يستفد شيئاً ، ولم يتمتع بالوجود
، حضرة الله ، بل أضاف إلى شره شراً .

وفي التجربة إلى الجبل ، التقى الشيطان بالرب ، وبنفس الأسلوب
نصاف إلى شره شراً ، ولم يتمتع بالوجود مع الله .

أمثلة بعض الخطاة :

قايين وقف أمام الله مرتين : مرة نصحه فيها الرب وأرشده ، ولكنه لمن
ستفد شيئاً لأن قلبه لم يكن مع الله ، واستسلم للخطية الرابضة . والمرة
لثانية وقف في الحضرة الإلهية ، ولم يتمتع بالوجود الإلهي ، إنما استمع إلى
ينونته (تك ٤ : ٦ ، ٩) .

والشباب الغني تمتع بالحضرة الإلهية إلى لحظات ، ونظر إليه الرب
سوع وأحبه . ولكنه خرج من المقابلة حزيناً ، لأنه كان ذا أموال كثيرة ،
لم يستفد من نصيحة الرب .

وبالمثل أولئك الذين دعاهم الرب لخدمة فاعتذروا.

وبالمثل العبد البطال من الوزارة الواسعة

ويعوزنا الوقت إن ضربنا أمثلة لأشخاص وجدوا في حضرة الله ولم يستفيدوا بل أدينوا . لذلك قلنا إنه ليس وجوداً مكانياً هذا الذي نعنيه ، بل وجوده في القلب ، في حب ...

إن كانت مأساة ، أنك توجد في حضرة الله ، ولا تشعر به فأساة أكثر أن توجد في حضرته وتحاربه ، وتأخذ دينوته ، أو توجد في حضرته في لا مبالاة .

كالذين يحضرون إلى الكنيسة ، يقفون أمام الله ، في بيته ، بتهاون ، أو بفكر شارد . أو الذين يتناولون من الأسرار المقدسة ، كعادة ، بلا عمق ، ويخرجون من التناول ليخطئوا كما كانوا ...

لذلك كله ، نحب أن تكون المشاعر متناسبة مع الوجود الإلهي .

وكم من مرة ، تقابل مع الرب الكتبة والفرسيون والصدوقيون والكهنة وشيوخ الشعب ، ولكن قلوبهم لم تكن معه ، وبينهم لم تكن صافية للإستفادة منه ، بل أن بعضهم كان يسمى أن يصعداه بكلمة . لذلك كان وجودهم مع الرب دينونة عليهم وليس نفعاً .

كذلك الفرسي الذي استضافه في بيته وليس في قلبه ، وكان يرقب والمرأة الخاطئة تسكب دموعها على قدميه ، ويدينه في فكره . ولم يستفد من الوجود في حضرة الله .

مشاهير تناسب الوجود مع الله ...

١ - ينبغي أولاً أن يكون لنا الإيمان بوجود الله معنا .

الإيمان بوعوده ، والإيمان بمحبته ، والإيمان بعمله .

ولا يجوز لنا أن نقيس وجود الله معنا بالراحة في العالم . فالمشاكل والضيقات ليست علامات للتخلي ، وليست دليلاً على عدم وجود الله معك . الله سمح بها ، لتأخذ ما فيها من بركة ، ومن أكاليل ، ومن فوائد روحية . وهى تصيبك لكى تظهر معدنك الطيب كما حدث لأيوب ، ولكى تأخذ منها خبرة في الحياة . وأيضاً لكى تتزكى ، ولكى تقويك وتصقلك .

إن أسعد أوقات اللص اليمين ، كانت وهو مصلوب مع المسيح .

كن إذن شديداً في الضيقة . لا تجعل الضيقة تحطمك ، وإنما حطمها أنت بإيمانك . إن الزجاجة إذا وقعت على صخرة ، لا تتحطم الصخرة ، وإنما تتحطم الزجاجة . كن إذن صخرة ...

٢ - لا تعتبر وجود الله في حياتك مؤقتاً ، بل دائماً .

إن المسيح لم يكن مع تلاميذه خلال الأربعين يوماً فقط ، وإنما « كل الأيام وإلى انقضاء الدهر » ...

إن كان معهم في الأربعين يوماً بطريقة منظورة ، فقد كان معهم كل الأيام بطريقة غير منظورة . وكانوا يؤمنون بهذا . بل أن بولس الرسول يقول

« لكى أحيأ لا أنا ، بل المسيح يحيا فى » (غل ٢ : ٢٠) . إذن كان يؤمن أن المسيح ليس فقط معه ، وهو بالأكثر فيه ...

لذلك إن حوربت بأن الله ليس معك ، قل لنفسك : كلا ، إنه معى ، ولكنى أنا الذى لا أدرك وجوده ، كما حدث مع المجدلية ... العيب إذن فىنا ، وليس فى عدم وجوده .

٣ - لذلك ينبغى أن تكون حواسك الروحية مدربة وإن لم تدرك وجوده مباشرة ، فستدرك ذلك بالتدريج .

المجدلية لم تدرك وجوده ، وظنته البستانى . ولكن الرب عمل فيها ، فشعرت به أخيراً ، وقالت له « رابونى » أى يا معلم .

والمولود أعمى ظن أنه إنسان بار ، ثم نبى . ولما حدثه الرب عن ابن الله ، سأل : من هو لاؤمن به ، إذ لم يكن إلى تلك الساعة يعرفه . على أنه عرفه أخيراً وآمن وسجد له (يوحنا : ٩ : ٣٥-٣٨) .

السامرية أيضاً عرفته أيضاً بالتدريج وليس من أول وهلة . والتلاميذ ظنوه أولاً خيلاً أو روحاً ، ثم آمنوا أخيراً (لوقا : ٢٤ : ٣٧) . ولم يؤمنوا فقط ، بل نشروا الإيمان فى كل مكان . وقالوا عنه : الذى رأيناه وسمعناه ولمسته أيدينا (يوحنا : ١ : ٣٤) .

لا تتضايق إذن إن كان إدراكك ضعيفاً لوجود الله في حياتك . إنما عليك أن تصلى وتقول [أعن يارب ضعف إيماني] وثق أن قوته في الضعف تكمل (٢ كو ١٢ : ٩) .

ملاحظة أخرى هامة جداً أقولها لك ، وهي :

٤ - لا يكفي أن يكون الله معك ، إنما يجب بالأكثر أن تكون أنت أيضاً معه ... لك معه شركة .

وليتك تأخذ درساً من ملائكة الكنائس السبع في آسيا لم يكن الرب فقط معهم ، وإنما كان أيضاً ممسكاً بهم ، وكانوا في يمينه (رؤ ٢ : ١) . وعلى الرغم من هذا يقول الرب لملاك كنيسة أفسس « عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى . فاذا كر من أين سقطت وتب ... وإلا فإنى آتيتك عن قريب ، وأزحزح منارتك من مكانها إن لم تتب » (رؤ ٢ : ٤ ، ٥) ... عجيب أنه في يمين الله ، وقد سقط ، ويحتاج إلى توبة ... !

وأخطر من هذا ملاك كنيسة لاودكية الذى يقول له الرب « أنا عارف أعمالك أنك لست حاراً ولا بارداً ... هكذا أنا مزعم أن أتقيأك من فسى . لأنك تقول إنى أنا غنى ... ولست تعلم أنك أنت الشقى والبائس وفقير وأعمى وعريان ... فكن غيوراً وتب » (رؤ ٣ : ١٥ : ١٩) .

وأخطر من هذين ملاك كنيسة ساردس ، الذى يقول له الرب : إن لك اسماً إنك حى وأنت ميت (رؤ ٣ : ١) ... ومع ذلك كان في يمين الله ، الرب ممسك به .

إذن لا يمكن أن يكون الله معك ، إنما كن أنت أيضاً معه ، بكل القلب والفكر والحواس والإرادة .

٥ - ولتكن لك المشاعر اللائقة بالوجود في حضرة الله .

ولعل منها الخشوع . فإن يشوع النبي لما أحس أنه أمام رئيس جند الرب ، يقول الكتاب « فسقط يشوع على وجهه إلى الأرض وسجد . وقال له : بماذا يكلم سيدي عبده » (يش ٥ : ١٥) . وخلع نعله من رجليه ، لأن المكان الذي كان واقفاً فيه مقدس .

وهكذا فعل موسى النبي أيضاً ، حينما ظهر له الرب وكلمه في العليقة التي لا تشتعل (خر ٣ : ٥) .

وكما يليق الخشوع بالوجود مع الله ، كذلك يليق البر . لأنه « أية شركة للنور مع الظلمة » (٢ كو ٦ : ١٤) .

و يليق بالوجود مع الله الفرح ، فقد فرح التلاميذ لما رأوا الرب (يو ٢٠ : ٢٠) . كذلك تليق مشاعر أخرى كثيرة من الحب والسلام ... وغيرها .

وسنتكلم عن هذا كله بالتفصيل في المحاضرات المقبلة إن شاء الله .
غير أنني أود أن أختم بملاحظة هامة وهي أن فترة الوجود مع الله هي فترة حب ، تليق بها سرية العلاقة الشخصية .

مشاعر تحفظ في سرية ..

أربعين يوماً قضاها المسيح مع تلاميذه ، ومع ذلك لم يسجل الكتاب ما دار في هذه الأيام من مشاعر ومن أحاديث ، إنما جملها سفر أعمال الرسل في عبارة بسيطة . أما الأناجيل فأشارت بالأكثر إلى شكوك التلاميذ وضعفاتهم وكيف عاجلها الرب . ولم تذكر لنا حتى تفاصيل يوم واحد من الأربعين يوماً ...

هنا واتعجب من الذين يقفون أمام الناس ليحكوا اختباراتهم !!

أين اختباراتكم هذه من اختبارات آباءنا الرسل ، الذين لم يسجلوا منها شيئاً ، ولم يذكروا سوى ضعفاتهم وشكوكهم ...

إن حياة الحب والعشرة مع الله ، هي قدس أقدس ، يليق بها الصمت . والحديث عنها تعليم غير كتابي ...

مرم أخت لعازر ، إختارت النصيب الأفضل ، وجلست عند قدمي المسيح ، تتأمله ، وتستمع إليه ، ولكنها لم تذكر شيئاً من كل هذا ، ولا سجل الكتاب شيئاً منه ... إنه قدس أقدس .

وموسى النبي قضى مع الرب أربعين يوماً على الجبل ، دون أن يحكى ماذا قال له الرب فيها ، وما أعماق تلك العشرة ..

واخنوخ الذى لم يموت ، سجلت حياته كلها فى عبارة واحدة تقريباً
هى « وسار اخنوخ مع الله ، ولم يوجد لأن الله أخذه » (تك ٥ : ٢٤) . ولم
يشرح الكتاب كيف سار اخنوخ مع الرب ، ولا اخنوخ تحدث عن هذا
إنه قدس أقدس .

وبولس الرسول صعد إلى السماء الثالثة ، ولكنه لما نزل ما قص علينا
شيئاً مما رآه ، بل قال إنه « سمع كلمات لا ينطق بها ، ولا يسوغ لإنسان
أن يتكلم بها » (٢ كو ١٢ : ٤) .

لماذا يا معلمنا بولس العظيم لا تحكى لنا اختباراتك ، كما يحكى أبناء
اليوم؟! مبارك هو صمتك . إنه أيضاً قدس أقدس .

بل أكثر من هذا مريم العذراء ، فى كل عشرتها مع المسيح ، لعنا
نقول : ليتها حكمت لنا تلك الثلاثين سنة التى عاشها المسيح قبل خدمته
الجهارية ، تلك التى ختم عليها بالصمت ... لقد صمتت العذراء . وكانت
تحفظ كل هذه الأمور متأملة بها فى قلبها (لو ٢ : ٥١) .

إن الصمت وليس الكلام ، هو الذى يليق بالروحيات والحب الإلهى
والعشرة مع الله ، مثلها صمت التاريخ عن تأملات القديس الأنبا بولا
السائح خلال ثمانين عاماً فى الوحدة .

هكذا صمت التلاميذ عن الأربعين يوماً . وما حدثهم المسيح عنه
من الأمور المختصة بملكوت الله ، ظهر فى حياتهم وممارساتهم ، ووصل إلينا
بالتقليد ، أكثر مما وصل بالكلام .

ولعلك تقول : لماذا لم يتكلم هؤلاء جميعاً ، لتتعلم من حياتهم ؟
ل لك : عش مثلهم ، وأنت تعرف حينئذ ما أخفوه .

لمجلس عند قدمي المسيح ، مثلما جلست مريم ، وحينئذ سيقول لك ما
، لها ، أو ما يناسبك من أحاديث أخرى ...

وإن أحببت المسيح ، كما أحبه الرسل ، وتركوا كل شيء وتبعوه ،
حينئذ سيحدثك مثلهم عن الأمور المختصة بملكوت الله ، ليس فقط على
ن أربعين يوماً ، وإنما طول الحياة .

افتح قلبك لله ، وهو يملؤه حباً . وافتح ذهنك له ، وهو يضع فيه أجمل
حاديث . عش معه بكلياتك . يفص عنك من مواهبه ونعمه وقوته ،
حينئذ تقول مع داود في المزمور :

« إني اسمع ما يتكلم به الرب الإله » .

أما إن أردت أن يحدثك الرب وأن يعطيك ، لكي تشرح
آخرين وتحكي ، فإنك تكون قد خرجت من سرية الحب ، وبدلاً
أخذع المغلق صرت تبوق قدامك بالبوق .

أما إن احتفظت بقدسية العلاقة وسريتها ، فإن الرب يقول عنك
حتى العروس جنة مغلقة ، عين مقفلة ، ينبوع مختوم » (نش ٤ : ١٢) .

يت هذه المحاضرة في الكاتدرائية الكبرى بالقاهرة يوم الجمعة ١/٥/١٩٧٠ م .

[٢]

أوقات الإحساس بالوجود مع الله

« حقاً إن الرب في هذا المكان ،
وأنا لم أعلم » .

(تك ٢٨ : ١٦)

ما هي أوقات الإحساس بوجود الله ؟
متى تشعر النفس بأن الله موجود معها ؟
في الحقيقة ، من ضمن الأوقات الأساسية التي نحس فيها بوجود الله
معنا :

١- أوقات الضيق والتعب :

وقت الضيق ، هو وقت الإحتياج إلى الله . وفيه تشعر بوجود الله ،
أكثر مما تشعر في وقت الراحة أو المتعة . تشعر في الضيقة بيد الله كيف
تدخل وتعمل وتنقذ ...

يعقوب أبو الآباء ، بدأت خبراته الروحية في وقت الضيقة .

لم نسمع له عن خبرات روحية ولا مناظر ولا رؤى في بيت أبيه ، ولا
صراع مع الله ، ولا وعود إلهية ، ولا تغيير لإسمه ...

ولكن لما قال عيسو « أقوم وأقتل يعقوب أخى » (تك ٢٧ : ٤١)
وهرب يعقوب من وجه أخيه هنا بدأ يشعر بوجود الله في حياته ... وفي
هروبه وضيقته رأى السلم الواصلة بين السماء والأرض ، ورأى الملائكة
ساعدة ونازلة عليها ، وسمع صوت الله يقول له « ها أنا معك ، وأحفظك
حيثما تذهب ، وأردك إلى هذه الأرض » (تك ٢٨ : ١٠-١٥) . وبدأت
ليعقوب سلسلة من الخبرات الروحية في الحياة مع الله ...

ونفس الوضع بالنسبة إلى يوسف الصديق :

لم يدخل في العشرة الإلهية كما ينبغي ، وهو ابن مدلل في بيت أبيه ، له قيصر ملون ، وأحلام جميلة ، تثير حسد أخوته وغيرتهم ... ولكن لما ألقى في البئر ، ولما بيع كعبد ، بدأ يختبر يد الله معه ، كيف ينجح طريقه ، وكيف يعزبه حتى وهو في السجن ، وكيف يمنحه موهبة تفسير الأحلام ، ويمنحه نعمة في عيني حافظ السجن والمسجونين ، بل يمنحه نعمة في عيني فرعون نفسه « والله أراد به خيراً » (تك ٥٠ : ٢٠) .

أفضل أيامه الروحية ، كانت وهو في الضيقة . أما لما صار وزيراً ، فلم نسمع عنه حينئذ رؤى أو أحلام ، بل كان رجل إدارة وسلطة . ولم تكن إرادة الرب مكشوفة له وقت مباركة إبنيه افرام ومنسى ، كما كانت « مكشوفة لأبيه يعقوب الذي عاش في الضيق (تك ٤٨ : ١٧-١٩) .

ويونان النبي كانت أعمق روحياته وهو في بطن الحوت .

حينما كان طليقاً ، كان معانداً للأمر الإلهي ، متمسكاً برأيه . أما حينما ابتلعه الحوت ، وجات فوقه التيارات والليج ، حينئذ صرخ من خوف الهاوية ، فسمع الرب صوته . لما أعييت فيه نفسه ، صلى يونان إلى الرب وهو في جوف الحوت ، وقال « حين أعييت قى نفسي ، ذكرت الرب ، فجاءت إليك صلاتي ... بصوت الحمد أذبح لك ، وأوفى بما نذرتك » (يون ١ : ٧ ، ٩) .

وأمثلة لأنبياء وأبرار كثيرين :

الثلاثة فتية تمتعوا بوجود الله معهم ، وهم في أتون النار . ودانيال
نبي شعر بعمل الله لأجله وهو في جب الأسود .

وبطرس الرسول لمس يد الله معه وهو في السجن (أع ١٢ : ٦ ، ٧)
وكذلك القديس بولس أيضاً (أع ١٦ : ٢٥ ، ٢٦) . ويوحنا لم يبصر تلك
رؤيا العظيمة ، إلا وهو في الضيقة ، منفيًا في جزيرة
مس (رؤ ١ : ٩ ، ١٠) .

وتلاميذ الرب أبصروا يده معهم ، لما اضطربت السفينة وهاجت
بح ، فأتاهم في الهزيع الأخير من الليل ، وانتهر الرياح .

حقاً ، حيناً لا توجد حلول بشرية ، نبصر يد الرب تعمل .

أحياناً ، لما يرتفع الإنسان في مركزه ، يختفى عمل الله من قاموسه .
الجائز أن تجد في هذا القاموس كلمات الشهرة والمال والعظمة
كز ، أما كلمة الله فتكون عزيزة .

ولكن حيناً تحل الضيقة تتعلق عيناه بالرب إلهه .

وهكذا كان بنو إسرائيل في تاريخهم القديم .

في فترات المتعة ، كانوا ينسون الرب ، بل كثيراً ما عبدوا الأصنام .
كان الرب يدفعهم إلى أيدي أعدائهم ، فيذلونهم ، كانوا حينئذ

يصرخون إلى الرب ، فيرسل لهم من عنده من يخلصهم ، كما يشرح لنا مفر القضاة . بل ما أعمق قول المرتل في هذه الخبرة « املأ وجوههم خزيًا ، فيطلبون وجهك يا رب » .

ربما في قوتنا ، نعتمد على قوتنا . وفي الشدة نختبر الرب .

يقول الرب « ادعني في وقت الضيق ، أنقذك فتمجدني » .
إن اختبار عبور البحر الأحمر ، كان في وقت الشدة .
كذلك ضرب الصخرة التي فجرت ماء ، وكذلك السحابة المظلمة .

إن أرملة صرفة صيدا ، لم تختبر الوجود مع الله وعشرته ، إلا في وقت المجاعة ، وحينما مات ابنها . هنا ظهر الله في حياتها . وبالمثل المرأة الشونمية لما مات ابنها أيضاً ...

اننا نتمتع بوجود الله في وقت الضيقة ... ونحس وجوده ، ونطلب وجوده ونلمس جوده ... وكذلك نتمتع بوجوده الإلهي في أوقات الصلاة والتأمل والعبادة .

٢ - أوقات الصلاة والتأمل ...

الأوقات الروحية مناسبة جداً للشعور بالوجود في حضرة الله . وهكذا ما كان يحسه آباؤنا القديسون في خلواتهم ووحدهم . لذلك كانوا يتركون ضجيج العالم إلى البرارى ، حيث ينفردون بالله . ويشعرون بأنهم وجدوه هناك ، وأحسوه في صلواتهم وتأملاتهم .

رؤيا يوحنا ورؤيا بولس :

في سفر الرؤيا ، القديس يوحنا الحبيب ، لم يمد الله في الضيقة فقط ، إنما يقول « كنت في الروح في يوم الرب » (رؤيا : ١٠ : ١٠) . كان في حالة روحية ، ملتصقاً بروح الله ، مرتفعاً بقلبه إليه ، في يوم مقدس . وفي هذا الجو الروحي ، رأى السماء مفتوحة ، وأبصر عرس الله ، والقوات السمائية تسبحه . القديس بولس الرسول أيضاً ، يعطينا نفس الصورة أيضاً في صعوده إلى السماء الثالثة . كان هو أيضاً في حالة روحية وصفها بقوله « أفى الجسد أم خارج الجسد ؟ لست أعلم ، الله يعلم » (٢ كور : ١٢ : ٢ ، ٣) .

إن الانسان يحس وجود الله في الأوساط الروحية ، عندما يلتصق قلبه بالله ، وتتلامس روحه مع الله .

القديس غريغور يوس أسقف نيصص ، كان أثناء خدمته للقداس الإلهي ، يبصر الروح القدس على هيئة حمامة . وأحياناً كان الرب يعلن له من هو مستحقاً للتناول ومن هو غير مستحق ...

وكثير من الآباء الكهنة ، أثناء القداسات ، يكونون في حالة روحية غير عادية ، يشعرون أثناءها بالوجود الفعلي مع الله .

هنا جو روحى خاص : من جهة الإستعداد لهذه الخدمة المقدسة ، والإستعداد للتناول ، وهيبة الهيكل والمذبح والذبيحة ، وجوالبخور والصلوات ، والقيام الفعلي أمام الله . كل ذلك يعطى شعوراً خاصاً يندر وجوده في أوقات أخرى ...

لذلك أنا أعجب من الذين يطلبون أن يسجل لهم أحد الآباء الكهنة قطعة من القداس في وقت يختارونه .

إنه حينئذ سيسجل لحناً ، ولا يقدم نفس الروح شتان بين تسجيله اللحن في أى وقت ، وتسجيله في وقت القداس الإلهى ، في جو روحى خاص ، وفي حالة روحية خاصة ! وفي شعور بالوجود أمام الله ، بتأثير الذبيحة المقدسة ...

بنفس المنطق أيضاً ، نقول إن هناك قرناً جوهرياً بين أن تسمع القداس الإلهى ، وأنت في الكنيسة تعد نفسك للتناول ، وأن تسمعه في بيتك من الاذاعة أو من جهاز تسجيل ...

في وقت الصلاة والتأمل ، يشعر الإنسان بالله يملأ قلبه ، ويشعر بأن الله يحيط به ، كما يشعر أنه واقف أمام الله يكلمه . أنظروا كيف أن المسيح يقول « حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمى ، فهناك أكون في

يسطهم». هذا الشعور بأن الله في وسطنا ، هو شعور روحي يشعر به
لإنسان في وقت الصلاة .

و يشعر أيضاً بأن الملائكة حوله ، وبأن أرواح القديسين أيضاً تحيط
ه ، بأن روحاً عميقاً في داخله يعطيه ما يقوله ...

لهذا كانت لاجتماعات الصلاة قوتها وتأثيرها ، ولهذا كانت لليالي
لصلاة وسهراتها فاعلية عميقة داخل النفس وقوة غير عادية ...

نتذكر أن تلاميذ الرب فيما كانوا يخدمون الرب و يصلون ، كلمهم
لروح القدس ، وقال لهم : افرزوا لي برنابا وشاول (أع ١٣ : ٢) .

وفي إحدى المرات وهم يصلون ، تزعزع المكان من قوة الصلاة ، أو من
لوجود الإلهي أثناء الصلاة ، وامتلاً المشتركون في الصلاة من الروح
لقدس (أع ٤ : ٣١) .

الصلاة جعلت الرب يحل بمجده في المكان ف شعر المصلون بوجود الله ،
بأن السحابة قد استقرت على الخيمة .

هنا يشعر الإنسان بالعزاء ، وبالفرح والسلام ، ويشعر بلذة البقاء في
لصلاة ، وأنه يود لو كانت الصلاة لا تنتهى ...

وكما قال أحد الآباء عن الصلاة : ومن فرط حلاوة الكلمة في
فواهم ، ما كانوا يريدون أن ينتقلوا منها إلى كلمة أخرى في صلواتهم .

الذى يشعر بلذة الصلاة ، وبوجود الله معه في الصلاة ، لا يجب أن ينتقل من جو الصلاة إلى أى جو آخر بعيد عنها . ولو انتهت صلاته ، قد يظل واقفاً ، ولو صامتاً ، يعز عليه أن ينزع نفسه من هذا الجو الروحي ... ولو يقول عبارة واحدة : لا أريد يارب أن أتركك إلى عمل آخر . ولا أريد أن أختم الحديث معك ، لكى أتحدث مع أحد سواك ...

من هنا كانت الصلاة الدائمة . ليست كعمل تعسبي أو مجرد تدريب ، إنما رغبة في البقاء مع الله أطول وقت ...

هناك أوقات كثيرة تشعر فيها بالوجود مع الله ، ولكن وقت الصلاة والتأمل هو أعمقها وأقواها ...

وماذا أيضاً يشعرك بالوجود في حضرة الله .

٣ - الأماكن المقدسة ...

إن جو الكنيسة والأماكن المقدسة ، يشعرك بالوجود مع الله ، أكثر من شعورك في أى مكان آخر ...

ولهذا نجد إنساناً روحياً مثل داود النبي ، يستطيع أن يكون روحياً في أى مكان ويتمتع بالله ... إلا أنه مع ذلك يقول « مساكنك محبوبة أيها الرب إله القوات . تشتاق وتذوب نفسي للدخول إلى ديار الرب . قلبي وجسمي قد ابتهجا بالإله الحي » . « مذابحك أيها الرب إله القوات ملكي وإلهي . طوبى لكل السكان في بيتك ، يباركونك إلى الأبد » (مز ٨٣) .

و يقول « واحدة طلبت من الرب وإياها التمس ، أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي ، لكى أنظر إلى نعيم الرب وأتفرس في هيكله » (مز ٢٦) .

وهكذا يترنم المرتل بالجبل المقدس ، ومدينة الله ، و يقول « أساساته في الجبال المقدسة . أحب الرب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب » « أعمال مجيدة قد قيلت عنك يا مدينة الله » (مز ٨٦) « ههنا موضع راحتي إلى أبد الأبد . ههنا أسكن لأنى اشتيته » (مز ١٣١) « ببيتك تليق القداسة يارب » (مز ٩٢) « رفعت عيني إلى الجبال ، من حيث يأتي عوني » (مز ١٢٠) .

إن زيارة لمكان مقدس ، لدير ، لمغارة قدس ، لكنيسة قديمة ، قد تكون لها تأثيرات روحية عميقة داخل النفس .

تشعر الإنسان بوجود الله في هذا المكان ، كما قال أبونا يعقوب عن بيت إيل « إن الله في هذا المكان » (تك ٢٨) .

وهذا يحدث أحياناً كلما أحس الإنسان باحتياجه إلى دفعة روحية قوية ، يقوم بزيارة لمكان مقدس ، ترجع إليه الشعور بوجود الله معه ، أو بوجوده أمام الله ، فيلتهب قلبه ، لمجرد نظر البناء ، أو لمجرد نظر أيقونة معينة لها تأثير في النفس ، أو لمجرد تذكر أن قديساً معيناً عاش مع الله في هذا المكان ...

أو قد يلجأ الإنسان إلى أية واسطة روحية تشعل محبة الله في قلبه ،
وتشعره بهذا الوجود الإلهي داخل القلب ...

وإن اجتمع تأثير المكان ، وتأثير العمل الروحي معاً ، فإن هذا يكون
أنفع جداً ... بل هناك أمكنة تدفع الإنسان دفعاً إلى الصلاة ، أو تعطي
عمقاً خاصاً في صلواته ، أو في تراتيله وألحانه ، أو في تأملاته وقراءاته ...

على أن الوجود في الحضرة الإلهية ، قد لا يأتي سببه منا ، وإنما من
زيارة النعمة لنا ، في وقت لا نعلمه ، أو لا نتوقعه ، أو لم نعد أنفسنا له ...

٤ - وقت لا نعلمه ...

حقاً ، كما قال الرب في الإنجيل المقدس « إن ملكوت الله لا يأتي
بمراقبة » (لوقا : ١٧ : ٢٠) .

الروح يهب حيث يشاء .

نحن لا نعلم متى يتحدث الله إلينا ، متى يعلن لنا ذاته ، متى تزورنا
نعمته ، متى نجد أنفسنا أمام الله ...

إنما في وقت لا نعلمه ، يعمل الله في قلوبنا من حيث لا ندري ،
ويشعرنا بوجوده . وهكذا فعل مع القديسين .

في وقت ما كان يتوقعه موسى النبي ، وبطريقة لم تخطر له على بال ،
كلمه الله من النار المشتعلة في العليقة ، وأعلن له ذاته ، وأرسله ليخلص
الشعب ... (خير : ٣) .

وفي وقت ما ، كلم الله أبانا إبراهيم ، ودعاه للحياة معه (تك ١٢) .
وجد ابرام نفسه أمام الله ، دون أن يسعى إلى ذلك ، ودون أن يخطر له هذا
على بال . وتكرر الأمر في حياته مرات ... إن ملكوت الله لا يأتي بمراقبة .

كذلك صموئيل النبي وهو طفل ، ما كان ينتظر مطلقاً ، أن يكون له
حديث مع الله ، أو أن يختاره لرسالة معينة أو لنبوة ، ولكنه وجد نفسه أمام
الله في وقت لا يعلمه ولا يتوقعه ...

وبنفس الأسلوب ، شاول الطرسوسى في طريق دمشق ، وجد نفسه
أمام النور ، وأمام دعوة ، وأمام عتاب ، وأمام المسيح شخصياً . وصار
رسولاً من حيث لا يدري ، بل وفي عكس الطريق الذى انتهجه لنفسه .

في وقت غير معروف ، تفتقد النعمة قلب إنسان ، فتشعله . كما هو
مطلوب منه ، أن يتجاوب ويستغل الفرصة .

أنت لا تدري متى يطرق الله على بابك . كل ما تدريه أنك أن
سمعت صوته لا تقسى قلبك ، بل تفتح بابك مباشرة ، وتقول له في حب :
تعال أيها الرب يسوع .

مشكلة عذراء النشيد ، إنها لم تفتح للرب ، حينما أتاها طافراً على
الجبال وقافزاً على التلال ، ولا حينما مديده من الكوة ، فأنت عليه
أحشاؤها . لذلك قالت في ألم شديد : « حبيبي تحول وعبر . نفسى خرجت
حينما أدبر . طلبته فما وجدته . دعوته فما أجابنى » (نش ٥ : ٢-٦) .

في فترات زيارة النعمة ، يشعر الإنسان بوجود الله معه . يشعر بحرارة غير عادية ، واقتراب قلبه إلى إلهه ، ومحبة عجيبة للرب وملكوته ، وبرغبة في الصلاة ، وعمق في التأمل ، كما يشعر بسيطرته على فكره وتوجيهه توجيهاً روحياً .

إن رأيت هذا في نفسك ، فتذكر قول الرسول « لا تطفثوا الروح » (اتس ٥ : ١٩) . وإن لم تكن في هذه الحالة الروحية ، فلا تحاول أن ترقبها متى تجيء . إنما يكفي أن تقول في مزاميرك « مستعد قلبي يا الله ، مستعد قلبي » (مز ٥٦) .

وباستمرار كلما وجدت في داخلك إشتياًقاً روحياً ، حاول أن تلهبه بالأكثر . إن وجدت في داخلك رغبة في التوبة أو في الاعتراف ، فلا تتوان ولا تؤجل . وإن وجدت رغبة ملحة أن تصلي ، فلا تتكاسل . وإن وجدت نفسك قد تأثرت بعظة أو صلاة أو لحن أو ترتيلة ، فلا تجعل هذا التأثير يضيع بلا ثمر . إستفد من وجود الله معك ، لنموك الروحي .

واحترس من أن يكبر قلبك خلال زيارات النعمة .

وجودك في حضرة الله ، يناسبه التواضع بالأكثر ، وانسحاق القلب ، والشعور بعدم الإستحقاق ، فهذا يمكن أن يعطيك الرب أكثر فأكثر ، لأنه يعطى المتواضعين نعمة (يع ٤ : ٦) .

وكلما تجدد نفسك مع الله ، قل : إنه من أجل إحتياجي سمح الرب أن يفتقدني بنعمته ، وليس ذلك بسبب إستحقاقي .

إنه ليس بجهدنا نكون مع الرب ، إنما بحنانه وجوده .

من أجل محبته لبني البشر ، من أجل عدم مشيئته أن يموت الخاطيء .
من أجل رعايته وعنايته وأبوته ، يفتقدنا بوجوده معنا ، حتى دون طلب
، كما فعل مع تلميذى عمواس ومع شاول الطرسوسى .

تبارك الرب فى عظم محبته . له المجد من الآن وإلى الأبد آمين .



تمت هذه المحاضرة فى الكاتدرائية الكبرى ، مساء يوم الجمعة ١٥ / ٥ / ١٩٧٠ م .

[٣]

شهوة الوجود مع الله

الوجود مع الله : شهوة

دعوة الآخرين

فرح بالأبدية

شهوة الوجود مع الله ...

الوجود مع الله شهوة في القلب النقي .

الإنسان الروحي يشواق أن يوجد باستمرار مع الله لذلك نجد داود يقول « كما يشواق الأيل إلى جداول المياه ، كذلك إشتاقت نفسي يا الله ، عطشت نفسي إلى الله ، إلى الإله الحي . متى أجيء وأتراءs الله » (مز ٤٢ : ١ ، ٢) « يا الله ، أنت إلهي ، إليك أبكر . عطشت ذإ إليك ... باسمك أرفع يدي ، فتشبع نفسي كأنها من شحم ود (مز ٦٢) « إليك يارب رفعت نفسي ... إياك انتظرت النهار (مز ٢٤) « طلبت وجهك ، ولوجهك يارب التمس . لا تحجب و عنى » (مز ٢٦) « التحقت نفسي وراءك » (مز ٦٢) أى جرت ور وكما يشواق المرتل إلى الله ، يشواق إلى كل ما يتعلق به ، إإ بيته ، وصاياه ...

يقول « محبوب هو إسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوتى (١١٨) ونقول فى الابصلمودية « إسمك حلو ومبارك ، فى قدسيك » .

وعن كلام الرب يقول « وجدت كلامك كالشهد فأأ « كلماتك حلوة فى حلقى . أحلى من العسل والشهد فى فى » (مز ١٨)

وعن بيت الرب يقول « فرحت بالقائلين لى إلى بيت الرب نذه
(مز ١٢١: ١) « تشتاق وتذوب نفسى للدخول إلى ديار الرب
(مز ٨٣: ٢) « واحدة طلبت من الرب وإيها التمس ، أن أسكن فى
الرب كل أيام حياتى ، لكى أنظر إلى نعيم الرب ، وأتفره
هيكله » (مز ٢٦) .

الإنسان الذى يحب الله ، يشتااق أن يكون معه فى كل حين ، نا
هو درسه ، وصاياه هى تلاوته ، محبته هى الغذاء التى تتغذى به الرب
ويتغذى به الفكر...

أما الذى يضجر بسرعة ، إن جلس مع الله ، و يدركه السأم والمذ
طال به الوقت فى الصلاة ، أو فى الكنيسة ، أو فى قراءة الكتاب أو
الروحى ، فهذا إنسان جاف فى قلبه ، بعيد عن حياة الروح ...

بعكس هذا ، الإنسان الروحى ، الذى يمتلىء قلبه بمحبة الله .
ليس فقط يشتااق إلى الله ، وإنما يدعو الآخرين أيضاً ...

دعوة الآخرين ...

إنه يدعو الكل إلى عشرة الله ، و يقول لهم ما قاله المرتل فى
« ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب » (مز ٣٣) .

المرأة السامرية ، لما تمتعت قليلاً بالوجود مع المسيح ، ذهبت تب
فى كل المدينة ، وتدعو الناس قائلة « تعالوا وانظروا إنساناً قال لى ك

فعلت» (يوحنا: ٢٩) ... لقد ارادت لهم أن يذوقوا ما قد ذاقته من حلاوة الوجود معه ، ولذة الحديث معه ، وجمال عشرته ، وحلو حديثه .

وهنا الفرق بين المحبة الروحية ، والمحبة الدنيوية ... محبة العالم ، هي محبة أنانية ، تريد أن يكون ما تحبه لها وحدها . أما المحبة الروحية ، محبة الله وعشرته ، فإنها تشرق على الجالسين في الظلمة ، وتريد أن يشاركها الكل في حبها ، وفي الله الذي تتمتع به . لا تريده لها وحدها ، إنما للكل ...

لما فيلبس تعرف على المسيح ، قال لثنائيل « وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس ، والذي كتب عنه الأنبياء » (يوحنا : ٤٥) . ولما ذاق يوحنا الرسول حلاوة العشرة مع المسيح ، كتب في رسالته الأولى « إن الحياة أظهرت ، ونشهد ونخبركم ... الذي رأيناه وسمعنا نخبركم به ، لكي تكون لكم أيضاً شركة معنا ... لكي يكون فرحكم كاملاً » (يوحنا : ٢-٤) .

كل من يمتلئ بمحبة الله ، تراه يفيض من هذا الحب على الآخرين ويدعوهم لمشاركته ... وماذا أيضاً ؟

الذي يحب الله ، يحب الأبدية . وليس فقط يحب الله على الأرض ، إنما يحبه أيضاً هناك في العالم الآخر .

وإذا بمحبة الوجود مع الله ، تتحول إلى فرح بالأبدية .

فرح بالأبدية ...

إن سمعان الشيخ ، لما حمل المسيح على يده ، وفرح بهذا الخلاص ، صرخ من عمق قلبه قائلاً « الآن يارب تطلق عبدك بسلام ، لأن عيني قد أبصرتا خلاصك ... » (لوقا : ٢٨ - ٣٠) .

الذين يحبون عشرة الرب حقاً ، ويرون ما في العالم من عوائق المادة والجسد ، يشتاقون أن ينطلقوا من هذا الجسد ، لكي تكون لهم فرصة أوسع في عشرة الله ، ولكي يكونوا في كل حين مع الرب (١ تس ٤ : ١٧) . وهكذا نرى القديس بولس الرسول يقول « لي اشتاء أن أنطلق ، وأكون مع المسيح ، فذاك أفضل جداً » (في ١ : ٢٣) . إذن شهوة الإنطلاق هنا ، هدفها هو الوجود مع الله ، فذاك أفضل جداً ...

إن الذي يشعر بلذة الوجود مع الله ، لا يهيمه الموت ، بل على العكس يرى أن الموت هو جسر ذهبي جميل ، يوصل إلى حياة أفضل ، إلى الفردوس ، إلى النعيم ، إلى الوجود مع الأب كل حين ، إلى التخلص من الحياة في المادة وما تسببه من معوقات . لذلك يكون تفكيره في اورشليم السماوية ، مسكن الله مع الناس ، تفكيراً له أعماقه العاطفية في القلب ...

إن اسطفانوس أول الشمامسة ، لما اقترب من الموت ، اعنى لما اقترب من الإنتقال إلى عشرة الله الدائمة ، كان فرحاً ومتهللاً . ويقول عنه الكتاب في تلك اللحظات إنهم شخصوا إليه « ورأوا وجهه كوجه ملاك »

(أع ٦: ١٥) . أما هو فمخصص إلى السماء ، وهو ممتلىء من الروح القدس ، فرأى مجد الله ... وقال « ها أنا أنظر السموات مفتوحة ، وابن الإنسان قائماً عن يمين الله » (أع ٧: ٥٥ ، ٥٦) ... وهذا الفرح انتقل إلى الوجود الدائم مع الله ، حيث لا مؤامرات ، ولا حنق أعداء ، ولا رجم ...

لا شك أن الذين يحزنهم الموت والانتقال إلى الرب ، لم يتيقنوا من لذة الحياة مع الله ، والوجود في عشرته المحببة إلى النفس . أو أن البعض يخافون الموت ، لأنه يحرمهم من الحياة في الجسد وفي المادة ومع الناس ...

في القرنين الثاني والثالث للميلاد ، حيث كانت أشواق المؤمنين متعلقة في عمق بالملكوت ، كانوا يسعون إلى الموت سعياً من أجل الله ، وكانوا يحبون الإستشهاد . بل أن العلامة أوريجانوس والعلامة ترتليانوس ، وضع كل منها كتاباً عنوانه « حث على الاستشهاد » . فهذا الاستشهاد سيوصلهم إلى الوجود الدائم مع الله ...

تحول الإستشهاد في تلك العصور إلى شهوة ، لأنه يحمل في طياته شهوة أعمق ، هي الوجود الدائم مع الله ، حيث يتغنون مع القديس بولس قائلين « ونكون كل حين مع الرب » .

هذه الشهوة المقدسة ، نزعنا من قلوبهم الخوف من الموت . فكانوا ينشدون تلك الانشودة الجميلة : « إن عشنا ، فللرب نعيش . وإن متنا ، فللرب نموت . إن عشنا أو متنا ، فللرب نحن » (رو ٨: ١٤) .

دؤلاء لا تهموم سوى عشرة الله ، سواء هنا أو هناك .

في السماء ، يكونون كل حين مع الرب . وعلى الأرض أيضاً يشعرون أنهم مع الله في كل مكان . كيانهم كله معه ..

هوذا داود النبي يقول « تأملت فرأيت الرب أمامي في كل حين ، لأنه عن يميني فلا اتزعزع » (مز ١٦ : ٨) . الرب أمامه ، والرب عن يمينه ، يحيط به من كل ناحية . فما تأثير هذه عليه إذن . يقول بعد ذلك مباشرة « من أجل هذا فرح قلبي وتهلل لساني . وأيضاً جسدي يسكن على الرجاء » « عرفتني سبل الحياة . تملأني فرحاً مع وجهك » ...

إنه يشعر بوجود الله معه ، هنا وفي الأبدية ، لذلك يقول أيضاً « إن سرت في وادي ظل الموت ، لا أخاف شراً ، لأنك أنت معي » (مز ٢٢) . ما أجل شعور المؤمن بأن الله معه ، حتى في وادي ظل الموت ...

لذلك يرتل هؤلاء المؤمنون ترتيلة « حيث قادني أسير » . لا يهم أن يقود الله النفس ، لكن المهم أن تكون معه حيثما قادها . ومادامت معه ، تشعر بالسعادة والثقة والإطمئنان .



[٤]

طبيعة العلاقة مع الله

لكى نفهم الوجود مع الله ، ينبغي أن نفهم أولاً ما هو الله بالنسبة
إلينا؟ ... وبالتالي ما هى طبيعة العلاقة معه؟ ... وهنا نفهم حالة الوجود
مع الله ...

إن الله لا يشاء أن يكون مجرد سيد يحكم عبداً ، ولا يشاء أن يكون
خوف العبيد وطاعتهم هو أساس العلاقة التى تربط البشرية به . لذلك
قال فى وضوح :

« لا أعود أسميكم عبداً ... بل أحباء » (يوحنا ١٥ : ١٥) .

وفى هذا الحب ، ودرجته وعمقه ، قيل عنه إنه « أحب خاصته الذين
فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى » (يوحنا ١٣ : ١) . بل إن هذا الحب كان هو
السبب المباشر للتجسد والفداء ، لأنه « هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل
إبنه الوحيد ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية »
(يوحنا ٣ : ١٦) .

وفى محبة الله لنا ، دعانا أبناء له ...

ويتغنى القديس يوحنا الرسول بهذه الحقيقة فيقول « أنظروا أية محبة
أعطانا الآب ، حتى ندعى أولاد الله » (١ يوحنا ٣ : ١) . وأصبحنا حينما
نصلى ، نوجه صلواتنا إلى هذا الآب السماوى ، ونقول له « يا أبانا الذى
فى السموات » .

حتى جاء السيد المسيح ، فأظهرها بجلاء ووضوح . أنظروا كيف أن الله يعاتب البشر في العهد القديم فيقول « ربيت بنين ونشأتهم ، أما هم فعصوا عليّ » (أش ١ : ٢) . وكأب في العهد القديم ، يخاطب الإنسان بعبارة « يا إبنى أعطنى قلبك » (أم ٢٣ : ٢٦) . وقد أدرك أشعياء النبي أبوة الله ، فقال له « تطلع من السماء ، وانظر من مسكن قدسك ، فإنك أنت أبونا ... أنت يارب أبونا ، ولينا منذ الأبد إسمك » (أش ٦٣ : ١٦) . وقال أيضاً « والآن يارب أنت أبونا ... وكلنا عمل يديك » (أش ٦٤ : ٨) ... والأمثلة كثيرة ...

إذن فنحن حينما نتواجد مع الله ، نتواجد مع أب يحبنا ...

ونقضى الوقت معه ، كما يسلك الأبناء مع أبيهم المحب لهم ، بنفس الدالة التي للأبناء . ومن الناحية الأخرى ، حينما نخطيء ، نشعر ليس مجرد شعور العبيد الذين يخافون العقوبة ، بل بالأكثر شعور الأبناء الذين يؤلمهم ويحزنهم أنهم جرحوا قلب أبيهم المحب ، وتباعدوا عنه بالمعصية ، فيسرعون لمصالحته ، ليوجدوا في كل حين معه ...

وماذا أيضاً ؟ هل نحن مجرد أبناء وأحباء ؟ كلا ، بل هناك ما هو

أكثر :

من محبة الله ، دعا النفس التي تحبه عروساً له ...

هذا واضح تماماً في العهد القديم ، في سفر نشيد الأناشيد ... وفي

العهد الجديد يتكلم يوحنا المعمدان عن الكنيسة كلها كعروس للمسيح ،
ويقول عنه وعنهما « من له العروس فهو العريس » (يوحنا : ٢٦) . وفي
المجيء الثاني ، شبه الرب كل النفوس التي تحبه بخمس عذارى
حكيمات ، أخذن مصابيحهن وخرجن لاستقبال العريس (مت ٢٥) .
ويقول بولس الرسول عن كرازته « خطبتكم لأقدم عذراء عفيفة
للمسيح » (٢ كو ١١ : ٢) ، وشرح في الرسالة إلى أفسس ، كيف أحب
المسيح الكنيسة كعروس له ، وكيف قدسها وطهرها وأسلم نفسه
لأجلها ، وقال عن وحدة المسيح بالكنيسة « هذا السر عظيم » (أف ٥ :
٢٢ - ٣٢) .

إذن نحن أبناء وأحباء ، وعروس للرب ، وماذا أيضاً ؟

أقول بالأكثر : إنه ونحن كيان واحد ، كالرأس والجسد ...

حقاً ، هذا السر عظيم ! إن الرب لم يفصلنا عنه . فنحن جسده وهو
أسننا . المسيح هو رأس الكنيسة (أف ٥ : ٢٣) ، ورأس كل رجل هو
لمسيح (١ كو ١١ : ٣) وأجسادنا هي أعضاء المسيح (١ كو ٦ : ١٥) .
نحن « أعضاء جسمه ، من لحمه ومن عظامه » (أف ٥ : ٣٠) . إنني
نقف هنا مذهولاً أمام هذه العبارات العجيبة ، التي أراد بها الوحي الإلهي
بوضوح علاقتنا بالمسيح ووحدةنا معه ...

وقد وضع الرب هذه الوحدة ، بعلاقة أخرى غير الرأس والجسد ،

نال :

« إثبتوا فيّ ، وأنا فيكم ... أنا الكرمة ، وأنتم الأغصان »
(يوحنا ١٥) .

الكرمة والأغصان ، كيان واحد ... كالرأس والجسد ...
والغصن لا حياة له ، إلا بالثبات في الكرمة . وهكذا قال الرب
« كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بشمر من ذاته ، إن لم يثبت في الكرمة ،
كذلك أنتم إن لم تثبتوا فيّ ... الذي يثبت فيّ وأنا فيه ، هذا يأتي بشمر
كثير » (يوحنا ١٥ : ٤ ، ٥) .

إذن أكثر من الوجود في الله ، الثبات في الله ...
نثبت في الله ، كما يثبت الغصن في الكرمة ، تسرى فيه عصارة
الكرمة ، وتعطيه حياة ... وإن لم تسر فيه عصارة الكرمة ، يجف ويموت ...
ولكن كيف نحصل على هذا الثبوت في الله ؟

لقد قدم لنا الرب أربع وسائل للثبوت فيه :
« من يأكل جسدي ويشرب دمي ، يثبت فيّ وأنا فيه »
(يوحنا ٦ : ٥٦) .

« وقال القديس يوحنا الرسول في رسالته الأولى « من اعترف أن
يسوع هو ابن الله ، فالله يثبت فيه ، وهو في الله » (١ يوحنا ٤ : ١٥) . وهنا
قدم الإيمان كواسطة للثبوت في الله .

« وقال أيضاً « الله محبة . ومن يثبت في المحبة ، يثبت في الله ، والله
فيه » (١ يوحنا ٤ : ١٦)

٢٤) * وأيضاً « من يحفظ وصاياہ ، يثبت فيه . وهو فيه »
(٢٤ : ٣)

إذن هناك وسائط للثبوت في الله ، هي : الإيمان ، والمحبة ،
والتناول من جسده ودمه ، وحفظ وصاياہ .

فهل حرصت على هذه الوسائط الأربع ؟ وهل شعرت فيها بالثبوت
في الله ؟ هل شعرت فيها بوجود الله فيك ؟ هذا إن كنت قد مارستها كما
ينبغي ...

هل رأيتم علاقة في قوة هذا الثبوت المتبادل ؟

ثبوت كالجسد في الرأس ، وكالعصن في الكرمة ... فيه الحياة ، ولا
حياة بدونه ... وماذا أيضاً ؟ لعلى أتجراً وأقول ، في خشية واتضاع قلب :

الوجود مع الله ، هو الوجود في الله ...

أو هو وجود الله فينا ...

وجود الله فينا ، كقول السيد الرب للآب « أنا فيهم ، وأنت فيّ ،
ليكونوا في مكمنين إلى واحد » (يوحنا : ١٧ : ٢٣) وقوله أيضاً « وعرفتهم إسمك
وسأعرفهم ، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به ، وأكون أنا فيهم »
(يوحنا : ١٧ : ٢٦) . وقول بولس الرسول « لكى أحيأ لا أنا ، بل المسيح يحيا
بي » (غل : ٢ : ٢٠) .

هل يوجد مجد أكثر من هذا ؟! أو هل توجد متعة روحية أعمق من

هذا؟! أن يؤدي. وجودك مع الله إلى وجوده هو فيك... على أننا نلاحظ هنا أن الأمر لا يقتصر على السيد المسيح فقط، وإنما:

كما يكون المسيح فيك، يكون أيضاً الآب والروح القدس:

أما عن روح الله فيك، فيقول الرسول «أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله ساكن فيكم» (١ كو ٣: ١٦)، «أم لستم تعلمون أن جسديكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم» (١ كو ٦: ١٩)... حقاً إن هذا السر عظيم.

أما عن الآب فيقول السيد المسيح «إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي، وهمنّده نصنع منزلاً» أي الآب والإبن معاً (يو ١١: ٢٣).

هذا عن وجود الله فيك. فماذا عن وجودك فيه؟...

يقول بولس الرسول «... لكي أربح المسيح، وأوجد فيه» (في ٣: ٨، ٩). ويوحنا الرسول يقول «بهذا نعرف أننا فيه» (١ يو ٢: ٥).

والسيد المسيح يجمل هذا الوجود المتبادل في قوله «في ذلك اليوم تعلمون أنني أنا في أبي، وأنتم فتى، وأنا فيكم» (يو ١٤: ٢٠). ويؤكد هذا المعنى أيضاً قوله «إثبتوا فتى، وأنا فيكم» (يو ١٥: ٤).

ولكني لا أزال حائراً أمام عبارة «إثبتوا فتى، وأنا فيكم». ما معناها؟ ما كنه هذا الثبوت؟ قطعاً لا يمكن أن نثبت في جوهره، وإلا

نا آلهة ... ! وما نحن سوى تراب ورماد ... على أن الرب يجيب في نفس
محاح فيقول :

نعم ، بالحب نثبت فيه ، وبالحب يثبت هو في قلوبنا ... ألم يقل
ول « الله محبة . من يثبت في المحبة ، يثبت في الله ، والله فيه » ...

إنه الحب المبني على الإيمان ، كما قال القديس بولس « ليحل المسيح
يمان في قلوبكم ، وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة » (أف ٣ :
١٨) .

إذن نحن بالحب ، وفي الحب ، نشعر بالوجود في الله ...
لا نشعر فقط بوجود الله معنا ، أو وجودنا معه ، وإنما نشعر أيضاً - في
سنا له - بوجوده فينا ، ووجودنا نحن فيه . نشعر أننا أعضاء في جسده ،
ثابتون فيه كشبوت الغصن في الكرمة ، ثبوتاً نأخذ به حياة ، ونضارة ،
مع به ثمراً ...

نهل أنت كذلك ، تشعر أن حب الله يسرى فيك ، و يعطيك حياة ،
سعة روحية خاصة ، غير الحياة التي لهذا العالم ؟ وهل تشعر أن هذا
الإلهي يغذيك و يقويك ، و يثبتك فيه ، و يشبع نفسك تماماً ... ؟

الحب ، نشعر بالوجود مع الله ...
في الوجود مع الله نشعر بالحب . وماذا أيضاً ؟

عله من المناسب ، أن تكون لهذا الموضوع محاضرة خاصة .

[٥]

مشاعر الوجود مع الله

مشاعر الحب

مشاعر الفرح

مشاعر السلام

مشاعر كثيرة

ما أعمق المشاعر التي تنبع من الوجود مع الله ... وما أكثرها . مجرد حساس بالوجود مع الله ، يجعل النفس ترتفع إلى فوق ، في مستوى أعلى ، هذا العالم ، وأسمى من الماديات .

وتصبح كل مشاعرها روحية ... في عمق ...

ينجذب القلب إلى الله ، و يلتصق به في حب ، و يرى أن سعادته لها في البقاء هكذا . و يغنى مع داود « أما أنا فخير لي الإلتصاق رب » (مز ٧٣ : ٢٨) .

و يود أن يبقى هكذا ، لا يفارقه ، ولا ينفصل عنه ...

يفرح أنه وجد الله ، فتتعلق به نفسه ، و يقول مع عذراء النشيد مسكته ولم أرخه » (نش ٣ : ٤) . و يود أن تدوم حياته في هذا اللقاء ، الله والإحساس بوجوده . وتصبح كل الرغبات الأخرى تافهة في عينه ، لا تستطيع أن تفصله عن هذه المتعة الروحية التي يجدها مع ب ، فيصيح من أعماقه ، مع بولس الرسول :

من سيفصلنا عن محبة المسيح ...؟! (رو ٨ : ٣٥ - ٣٩)

« ... لا موت ولا حياة ، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ، ولا أمور اضررة ولا مستقبلة ، ولا علو ولا عمق ، ولا خليقة أخرى ، تقدر أن

تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع» ... أتستطيع أن تقول هكذا ،
ولا تسمح لشيء أن يفصلك عن الوجود مع الله ؟

يروى في قصص القديسين عن أحد الآباء الرهبان ، أنه كان سائراً
في البرية ، مستغرقاً في صلواته بكل قلبه وعواطفه ، فأتى ملاكان وأحاطا
به من هنا وهناك . ولكنه لم يسمح لنفسه بأن يترك صلواته و ينظر إلى أى
منهما ، بل استمر في صلواته وتأملاته وهو يقول « من يفصلني عن محبة
المسيح ؟ لا ملائكة ولا رؤساء ملائكة » ...

إن مشاعر الوجود مع الله ، مشاعر لا ينطق بها ...
تحستها ، وإن أردت أن تصفها ، لا تستطيع ... تصل أحياناً إلى مرحلة
يهر فيها الإنسان و يذهل ... فإن استيقظ يشعر بفرح يغمره ، و يشعر بميل
إلى الصمت ، لا يريد أن يخرج من إحساساته الداخلية إلى مستوى
الحديث مع الناس ...

وكعينة من هذه المشاعر ، سنتكلم عن ثلاثة منها :
هى مشاعر الحب ، والفرح ، والسلام . وكلها من ثمار الروح
القدس ، الذى يسكن قلب الإنسان ، و يشعر الإنسان بسكناه وثماره في
أوقات الوجود مع الله ...



مشاعر الحب ...

في حضرة الله

مشاعر الحب

في حضرة الله

يكفيك أيها الأخ المبارك أن تتقابل مع المسيح ، تتحدث إليه ، تستمع به ، تكون علاقة معه وتجذ فيه كل كفايتك ولا يعوزك معه شيء ... طيه قلبك ، وحينئذ تشعر بتفاهة العالم كله ، وتسعد بمحبة الله .

هذا هو الوجود مع الله ، حب في حب ، قلب بشري يتلامس مع

قلب محدود ، يتلامس مع القلب غير المحدود . وحب بسيط ، يتقابل حب لانهاى . نحن في حياتنا مع الله ، مثل الجدول البسيط الذى يسير ، يلتقى بالبحر ، ويصب فيه ، ويختلط بمياهه التى لا تنتهى . نحن قطرة ، تسخن بحرارة الحب ، وتتبخر فترتفع ، لكى تنزل إلى أعماق النهر بير... حياتنا مع الله حياة حب .

العشرة مع الله ، هى عشرة الحب ...

إنها ليست مجرد نظام روحى ، أو جدول روحى تضعه لنفسك فى صلاة والقراءة والتأمل والاجتماعات والمطانيات ... كل هذا حسن يلى . ولكن هل هو نابع عن حب ؟ هل فيه اشتياق إلى الله ، وعشرة

مع الله؟ هل علاقتك بالله هي علاقة حب؟ هل تشتاق إليه كما يشتاق الغصن إلى عصير الكرمة يسرى في خلاياه؟ أم كل جداولك الروحية رسميات بلا عاطفة؟!

هل أنت تشعر بوجود الله في حياتك ، وجوداً يلهب قلبك بالحب ، فتتقد عاطفتك نحو الله باستمرار...؟

هل في وجودك مع الله ، وقت صلاتك ، وقت تأملاتك ، وقت إحساسك بيده تمسكك وتوجهك ، أو وقت إحساسك بيده تربت على كتفك في حنو، هل في هذه الأوقات تشعر بمحبة إلهية تملأ قلبك ، وتشبعك ، وتلهف عواطفك الروحية ، فلا تعد محتاجاً إلى أية محبة أخرى إلى جوارها؟

هل في صلواتك لهجة الحب ، وأسلوب الحب؟ وهل إذا صليت لا تريد أن تنتهي من الصلاة ، لأن المحبة تجذبك إلى البقاء في حضرة الله؟ هل قلبك المحب للمسيح ، مملوء بالفرح لأنك قد وجدته؟ هل وجودك مع الله ، أصبح حياة ، وليس فترات؟

أى أنه من شدة محبتك لله ، ورغبتك في أن توجد معه باستمرار، إزدادت فترات وجودك معه ، وظلت تنمو، حتى أصبحت تحس بوجودك في حضرة الله كل حين ، وليس لفترات محدودة تأتي وتنتهي... وهكذا تقول مع معلمنا داود « تأملت فرأيت الرب أمامي في كل حين... » .

إن الذى يحب الله ، ويحب أن يوجد دواماً معه ، لا يكون الله
بالنسبة إليه هو إله مناسبات ... !

الله ، ليس هو الإله الذى يجده الإنسان فى الكنيسة فقط ، فإن فارقها
فارقه ! وليس هو الإله الذى يجده فى الكتاب المقدس ، فإن أغلق هذا
الكتاب إنتهت علاقته به ! وليس هو فقط الإله الذى لا يجده إلا فى
الصلاة والتأمل والتراويل ، وبعدها لا يحس بوجوده ... !

إنما هو الإله الذى يحس وجوده معه فى كل مكان ، وفى كل وقت ،
وفى كل عمل ... هو فى حياته على الدوام . وهنا نسأل : من يكون المسيح
بالنسبة إلى حياتنا ؟

إن المسيح ليس غريباً عنا ... إنه فينا :

ليس هو مجرد شخصية تاريخية ، قرأنا عنها فى الإنجيل ، فعرفنا قصة
تجسده وصلبه وقيامته وصعوده إلى السموات ... بل المسيح حتى بيننا ، معنا
كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر ، حسب وعده الصادق (مت ٢٨ : ٢٠) .
إنه بالمسك السبعة الكواكب فى يمينه (أى جميع الرعاة) ، الماشى فى وسط
السبع المناير الذهبية (رؤ ١ : ٢) أى الموجود فى وسط الكنائس كلها ...

حقاً إننا نشعر بوجوده معنا فى صلواتنا ، حسبما قال « حيثما اجتمع
إثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم » (مت ١٨ : ٢٠) . ولكن
وجوده معنا لا يقتصر على أوقات الصلاة فقط ...

وجوده في حياتنا ، أعمق من هذا وأشمل ...

ما أروع تلك العبارة التي قيلت عن معموديتنا ، التي فيها متنا مع المسيح ، وقفنا مع المسيح ... وليس هذا فقط ، بل يقول القديس بولس الرسول « لأن جميعكم الذين اعتمدتم بالمسيح ، قد لبستم المسيح » (غل ٣: ٢٧) ... وأمام عبارة « لبستم المسيح » اقف مبهوراً ، أحاول أن اتشرب المعنى على مهل ، بالروح لا بالعقل ...

وفي حياتنا الروحية ، إن كنا قد صولحنا مع الله بموته عنا ، فإننا ونحن الآن مصالحنون « نخلص بحياته » (رو ٥: ١٠) أي بحياته فينا ، حيث كل حين « يقودنا في موكب نصرته » (٢ كو ٢: ١٤) . فنحن لا نعمل شيئاً من ذواتنا ، بل هو العامل فينا . أليس هو القائل « لأنكم بدوني لا تقدر أن تفعلوا شيئاً » (يو ١٥: ٥) .

إذن نحن لا نستطيع أن نفصل حياتنا عن المسيح .

حياتنا الروحية ما هي إلا « رائحة المسيح الذكية » (٢ كو ٢ :

١٥)

ونحن في حياة الحب معه ، وحياة الوجود معه ، نحاول أن تكون لنا معه وحدة في الفكر ، وفي المشيئة ، وفي العمل ... وهذا ندخل في حياة شركة معه .

فالوجود مع الله ، يعني أيضاً الشركة معه .

هذه الشركة التي قال عنها معلمنا يوحنا الرسول « وأما شركتنا نحن ،

مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح» (١ يوا : ٣) . ومعلمنا بولس
لا يذكر أيضاً « شركة الروح القدس » (٢ كو ١٣ : ١٤) . أما
بطرس الرسول ، فيدمج كل هذا معاً في عبارة واجدة هي « شركاء
: الإلهية » (٢ بط ١ : ٤) ...

قأ ما أعجب الوجود مع الله ، وما أعجب مواهبه ! ونحن طبعاً لا
نك مع الطبيعة الإلهية في الجوهر ، أى في الألوهية ، وإلا صرنا إلهة ؟
ن ؟

١ شركة مع الطبيعة الإلهية ، في الفكر والعمل .

من جهة الفكر ، يعبر بولس الرسول في عمق وإيجاز فيقول « أما نحن
والمسيح » (١ كو ٢ : ١٦) . أما عن العمل ، فيقول عن نفسه وعن
بولس « نحن عاملان مع الله » (١ كو ٣ : ٩) . ونحن نصلي في أوشية
برين فنقول للرب « إشتراك في العمل مع عبيدك ، في كل عمل
» .

شركة في العمل ، تحتاج أيضاً إلى شركة في المشيئة ، حيث نقول
في كل صلاة « لتكن مشيئتك » . وتشمل من معناها « لتكن
، هي مشيئتنا . ولتكن مشيئتنا هي مشيئتك » .

٢ الوجود مع الله ، تتحد مشيئة الله والإنسان .

قبل الإنسان مشيئة الله في حب ، وفي رضى ، وفي فرح . وفي

شركة هذه المشيئة ، وفي شركة العمل والفكر ، يحيا في بردائهم . لأن الله هو النور الحقيقي « ولا شركة للنور مع الظلمة » (٢ كور ٦ : ١٤) . وهكذا كل من يتمتع بالوجود مع الله ، يحيا في النور ، و يصير من أبناء النور ، لأنه « إن قلنا أن لنا شركة معه ، وسلطنا في الظلمة ، نكذب ولسنا نعمل الحق » (١ يوا ١ : ٦) .

إذن الوجود مع الله ، هو الوجود في البر .

وجودك مع الله ، يطهرك من كل خطية ، و يثبتك في الحق ، والحق يحرك . وتشعر وأنت موجود مع الله بمحبة كاملة لكل ما هو طاهر ومقدس .

لذلك فأنت تحب الرب لأجل أنه منحك هذا الإنعتاق من أسر الخطية ، وجعل الحياة الروحية سهلة عليك ، كما تحبه من أجل أنه الخلاص العظيم الذي قدمه لك وللعالم كله .

تحبه لأنك وجدته ، ولأنه تنازل ليكون معك .

ومع أنه مرتفع عن السموات ، فإنه يجد لذته في بني البشر ، ويجب أن يكون معنا ، و يعمل فينا و بنا . يكلمنا ونكلمه ، يحوطنا بعمل رعايته في حب وإشفاق ...

نحبه ، لأنه هو الذي يبحث عنا ، حتى إن ضللنا عنه ، يأتي بنا إليه ، حاملاً إيانا على منكبيه فرحاً ، هذا الذي أحينا قبيلاً ، واشفق علينا حتى

ونحن في عمق خطايانا .

نحب هذا القدوس ، الذي منح نعمة الوجود معه حتى للخطاة
والعشارين ، وحضر ولائهم ، وتعشى في بيت زكا ، وسمح للمرأة
الخاطئة أن تلمس قدميه وتقبلها ، تلك التي إشمئز من وجودها
الفريسى ...

نحب هذا الكامل ، الذي سمح بالوجود معه للمجدلية التي كان عليها
سبع شياطين ، فخلصها منهم ، وجعلها من خاصته ، ونعمت بالوجود معه
حتى وهو على الصليب .

إن أسعد أوقاتنا في الحياة ، هي أوقات الوجود معه .

حتى لو كنا مصلوبين معه كالص اليمين ، أو لو كنا نتألم معه
كبولس ، يكفي أننا معه . أما أتعبس أوقاتنا فهي هي نحس الحرمان معه .
لذلك نحرص أن نكون معه كل حين ، لا في علاقة رسمية ، إنما في مشاعر
الحب ، التي بها إتكا يوحنا على صدره ، والتي بها سكبت الخاطئة دموعها
على قدميه ، لأنها أحببت كثيراً .

من أجل الوجود معه ، عاش أبائنا في البراري

وكما نقول في القسمة في القداس الإلهي « سكنوا الجبال والبراري
وشقوق الأرض ، من أجل عظم محبتهم للملك المسيح » . من أجل متعة
الوجود معه ، تركوا الأهل والمال ، وعاشوا في وحدة كاملة ، ليتمتعوا فيها

بحبه ، منفردين معه في البرية القفرة ، جاعلين شعاً بهم « الإنحلال من الكلل للإرتباط بالواحد » .

ومن أجل حبه والوجود معه ، ترك آباؤنا الرسل كل شىء وتبعوه ، وقالوا له « إلى من نذهب ؟ كلام الحياة الأبدية هو عندك » (يو: ٦٨) .

إنها نفوس هائمة ، ليس في قلوبها سوى محبة المسيح . إن المسيحية فيها الكثير من المبادئ والقيم ، والفضائل السامية جداً ، والعقائد الروحية السليمة العميقة . ولكن أجل ما في المسيحية هو شخص المسيح نفسه .

حتى أن الأبدية بكل أفراحها ، لا تعتبر نعيماً بدون المسيح . المسيح هو فرحها الكامل ، وهو نعيمها الحقيقي .

والوجود مع المسيح في الأبدية ، هو النعيم الأبدى . إنه هو الذى علمنا الحب ، وهو الذى ربطنا مع الله برباط الحب ، ونزع كل خوف من قلوبنا ، ولم تعد وصايا الله مجرد أوامر ، إنما هى مجرد تعبير عن الحب ، كما يقول « من يحبني يحفظ وصاياي » (يو: ١٤: ١٥ ، ٢١) .

الذى يحب الرب ، يحب الوجود معه ، والذى يوجد معه يحبه ... ويشعر بفرح لا ينطق به لوجوده مع الله .



مشاعر الفرح ...
بالوجود في حضرة الله

مشاعر الفرح بالوجود في حضرة الله

حياتنا مع الله ، هي حياة فرح به ، كما فرح التلاميذ إذ رأوا الرب .
الذين يعيشون مع الرب ، يفرحون لأنهم وجدوه ، و يفرحون لأنهم
عرفوه ، و يفرحون لأنهم صادقوه وأحبوه ، ولأنهم ذاقوا ونظروا ما أطيب
الرب ...

حتى في الآلام التي تحيط بهم ، هم يفرحون في الرب على الدوام . قال

الرسول :

إفرحوا في الرب كل حين ، وأقول أيضاً افرحوا (في ٤ : ٤)

تسأله : وأنت يابولس ، هل تفرح بالرب كل حين ؟ فيقول نعم .
وتسأل : وماذا عن السجون والضيقات والآلام والضعفات التي تحملها
كل وقت ؟ فيلخص الموضوع في عبارة واحدة هي « كحزاني ، ونحن دائماً
فرحون » (٢ كو ٦ : ١٠) . أمام الناس ، في ظروفنا الخارجية ، في
ضيقاتنا الكثيرة ، نبدو كحزاني . أما في الداخل . فنحن فرحون .

أولاد الله ، يفرحون على جبل الجلجثة ، كما على جبل التجلي .
يفرحون وهم في أتون النار ، كالثلاثة الفتية الذين كانوا يسبحون الله
داخل الأتون ، لأن سبب فرحهم كان هو إحساسهم بوجود الله معهم ،
فكانوا فرحين به ...

يفرحون ، وهم داخل البحر الأحمر ، يحيط بهم الماء من هنا وهناك ،
يحيط بهم ، ولكن لا يغطيهم ولا يطفى عليهم . المهم أنهم فرحون بخلاص
الرب ، وببئد الرب معهم ... تماماً مثلما كان بولس وسيلا فرحين في
السجن الداخلي ، وأرجلهم مضبوطة في المقطرة ، وهما يسبحان الله بصوت
مسموع (أع ١٦ : ٢٤ ، ٢٥) ، شاعرين بوجود الله معها ...

كان بطرس في السجن . وكان الله معه في السجن . لذلك استطاع
أن ينام نوماً ثقيلاً ، بينما كان هيرودس مزماً أن يقتله ! (أع ١٢ : ٦) .
من يستطيع أن ينام في مثل هذه الظروف ؟! ولكن بطرس لم يفقد سلامه
ولا فرحه بالرب . وكان لسان حاله يقول : « إن كانت لي صداقة بإله
هيرودس ، فإن هيرودس سوف لا يضرني بشيء » ...

الشعور بوجود الله ، يملأ القلب فرحاً ، وينسيه آلامه ...

أحد القديسين ، علقوه على خشبة وصلبوه . فن فوق صليبه ، كان
يعظ الناس ، و يدعوهم إلى الإيمان بالمسيح . وحدث في إحدى المرات أن
ثلاثين ألفاً خرجوا من دمنهور إلى الإسكندرية ، لينالوا إكليل الشهادة ،
وهم يسبحون الله في الطريق ، و يغنون الأغاني الروحية ، فرحاً بالرب ،
لشعورهم بوجوده معهم ...

وهكذا فعل القديس أبا فام الجندی ، حينما لبس أفخر ثيابه ، وامتطى
جوازه وذهب لمقابلة أريانوس ، ليستشهد على يديه ، قائلاً « هذا يوم
عرسى » .

إذن إفرحوا بالرب كل حين ، كما فرح القديسون بالرب ، في كل ظروفهم وأحوالهم .

ولكن ما أسباب فرح القديسين بالرب ؟

إنهم فرحون بصحبته له ، وبعشرتهم له ، فرحون بالتجديد الذى أخذوه في المسيحية ، بهذه الحياة الجديدة الثابتة في الرب ، إذ وجدوا « الأشياء العتيقة قد مضت ، وهوذا الكل قد صار جديداً » . إنهم فرحون بالحب الإلهى الذى لمس قلوبهم ، فطهرهم من كل شر ومن كل شبه شر . إنهم - في تمتعهم بالوجود الإلهى - فرحون بعمل الروح القدس فيهم ، فرحون بنعمة الله التى لا تفارقهم .

إنه كما يقول الرسول « فرح لا ينطق به ومجيد » (١ بط ١ : ٨) . إنه فرح النفس بالرب ، فرح لما وجدوه ، باعوا كل شىء واشتروه ... إنه فرح روحانى ، يختلف عن كل أفراح العالم ...

فرح بملكوت الله داخل النفس ... قد يعجب العالم له : كيف تفرحون ، وأنتم بعيدون عن كل شهوات العالم وملاذته وترفيهاته وامتعه ، بعيداً عن مباحج المادة ، ولذة الحواس ؟ ... إن الفرح بالرب هو أعمق ... لا يستطيع العالم أن يفرحه .

إنه فرح من الداخل ، لا يعتمد على أسباب خارجية ... أهل العالم يحصلون على أفراحهم من مصادر خارج نفوسهم ... أسباب

شخص المادة ، من كرام الناس ، من الأسياس ، أو أسباب تتعلق
بالأسرة أو بغيره ، كزواج أو باجتماع ، والفقير من أبناء الله ، فيفرحون من
الدخول ، يسكرون الله في قلوبهم ، وإحساسهم بوجوده معهم ، في داخلهم .
يشعرون بيده في حياتهم . فيفرحون باستلامه هذه الحياة وتدبيره لها .
يحسون بتعزيات الروح داخلهم فيفرحون . يشعرون بالله يعمل في قلوبهم ،
ويغرس فيها مشاعر مقدسة ، ويغسلها فتبيض أكثر من الثلج ، فيفرحون .
يحسون أنهم في حالة روحية ، لا يستطيعون التعبير عنها ، ويكفيهم أنهم
يتمتعون بها ...

حتى في مشاكلهم ، يشعرون بأنهم فرحون بالرب ...

فرحون بالرب الذي يرويه أثناء المشاكل ، يتدخل ، ويعطي عزاء
وصبراً وطمأنينة وسلاماً ، ويعطي حلولاً ما كانت تخطر على فكر إنسان ،
لها طابعها الخاص الذي يقنع النفس أنها من عند الله ... يفرحون بالرب
الذي لا يتركهم وحدهم ، وإنما يحسون وجوده معهم .

في داخل البرية القفرة ، في متاهة سيناء ، يرون الله ... يرسل
سحابته تظللهم وترشدتهم نهاراً ، ويرسل عمود النور يضيء لهم ليلاً ... إنه
معهم ، يرون وجوده في تابوت عهده ، كما يرونه في الصخرة التي تفجر
ماء ، وفي المن ينزله من السماء ، وفي صوته يتحدث من فوق الجبل ... كل
ذلك في متاهة القفر ...

إن أولاد الله ، دائماً فرحون ... فرحون بوجوده معهم ...

حالة واحدة تحزن الإنسان الروحي ، وهي الانفصال عن الله .
والإنسان الروحي لا يشعر بالانفصال عن الله ، فهو معه في كل
حين . ولكن هذا الانفصال يشعر به إن سقط في الخطية . فالخطية هي
انفصال عن الله ، وبالتالي هي انفصال عن كل فرح ... وهكذا إن سقط
إنسان روحي ، لضعف ، أو لخديعة العدو ، أو لأي سبب ، فإنه يسرع
بالقيام والرجوع إلى الله .

حتى في سقوطه ، يشعر بالله يناديه ، ويساعده على القيام ...
ولولا وجود الله معه ، ما قام . إنه هو الذي يتضح عليه بزوفاه فيطهر ،
ويتوبه فيتوب ، بل يبحث عنه كما يجده . وكما يقول في سفر حزقيال
النبي « أنا أرعى غنمي وأربضها ... وأطلب الضال ، وأسترد المطرود ،
وأجبر الكسير ، وأعصب الجريح » (حز ٣٤ : ١٥ ، ١٦) .

فماذا إن شعر البعض أن الله بعيد وليس معهم ؟
يفرحون بالله الذي سيأتي ، ولو في الهزيع الأخير ...
إن لم تفرح بوجوده الآن ، إفرح بوجوده الآتي « هوذا آت طافراً على
الجبال ، قافراً على التلال » (نش ٢ : ٨) . إنه على الباب يقرع . فلنفتح
له ، ونتمتع بوجوده ، يكشف لنا ذاته ، ويكشف لنا محبته ، ويفتح لنا
قلبه ، ويشعرنا برعايته واهتمامه ...

إننا تراب ورماد . ومع ذلك نشعرنا باهتمامه ...

عجيب هذا الإله المحب ، الذى يعطى أهمية لخليقته بهذا المقدار !
« يقيم المسكين من التراب ، ويرفع البائس من المزبلة ، ليجلسه مع رؤساء شعبه » (مؤ ١١٣ : ٧ ، ٨) . هذا الكائن غير المحدود ، الإله العظيم وحده ، ينظر من علوه المقدس إلى المتواضعات على الأرض ... ! حتى إن كان درهم واحد مفقوداً ، يهتم به ، و يبحث عنه إلى أن يجده ، فيفرح به ، و يدعو الجميع ليفرحوا معه ، و يشعره بوجوده فى حضرة الله المحب ...

الله موجود معك ، فى البروفى السقوط ...

إنه موجود معك ، حينما يعطيك القوة أن تمشى معه فوق الماء ، مثلما فعل مع بطرس ، وأحس هذا القديس بوجوده مع الله .
و حينما يضعف إيمانك ، وتسقط فى الماء ، مثل بطرس أيضاً ، تشعر بوجود الله ، الذى يجذبك من الماء ، لتمشى معه مرة أخرى ... فوق الماء .
لذلك نحن نفرح بالرب كل حين ، لأنه موجود معنا فى كل حين ، سواء كنا نحن معه أو لم نكن ، نشعرنا بوجوده أو لم نشعر ...

إنه موجود فى حياتنا . ونحن نفرح بوجوده فيها ...

ونصلى باستمرار أن نشعر كل حين بوجوده معنا ، لكى يزداد فرحنا به ... ولكى نشعر نحن بهذه الشركة المقدسة ، شركة الله فى حياتنا ، وشركتنا نحن معه ، فى الحب ، وفى العمل ...



مشاعر السلام ...
في الوجود مع الله

مشاعر السلام في الوجود مع الله

إن أول عبارة كان يقوها الرب ، حين يلتقي بأحبائه هي « سلام لكم » (لوقا : ٢٤ : ٣٦ ، يوحنا : ٢٠ : ١٨) . وقبل صلبه ، لكي يعزي تلاميذه بأنه سيكون معهم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر ، قال لهم « سلامي أترك لكم ، سلامي أنا أعطيتكم » (يوحنا : ١٤ : ٢٧) .

كل من يوجد في حضرة الله ، يشعر بسلام عميق .

يشعر باطمئنان داخلي ، لوجوده مع الله . يشعر بالسلام الذي يشعر به البحارة حينما يصلون إلى الميناء ، فيستريحون فيه . كذلك من يجد راحته في الرب ، يشعر بسلام... مثال ذلك قول القديس أوغسطينوس للرب « ستظل قلوبنا في قلق ، إلى أن تجد راحتها فيك » .

في هذا السلام ، يختفي كل خوف ، وكل قلق واضطراب .

إن كانت حالة الوجود مع الله ، تعني الإحساس بسكنى الروح القدس داخل القلب ، فإن من ثمار الروح محبة وفرح و سلام (غلا : ٥ : ٢٢) . ولا شك أن المحبة والفرح ينشئان سلاماً داخلياً... أخيراً وجدتك يارب ، فامتلاً قلبي فرحاً ، ولساني تهليلاً ، وأصبح في قلبي سلام . سلام معك ، إذ قد تصالحنا ، مادمت أنت موجوداً في وأنا فيك .

يفقد الإنسان سلامه بالخطية ، فالخطية هي انفصال عن الله .
في حالة الخطية ، يبتعد الإنسان عن الله ، لا يشعر بالوجود معه ،
لذلك يفقد سلامه حقاً « لا سلام - قال الرب - للأشرار »
(أش ٤٨ : ٢٢) . هكذا حدث لآدم لما أخطأ ، خاف ، أختبأ ، لأنه
انفصل عن الله . وكان من قبل في سلام ، وهو شاعر بالوجود في حضرة
الله . وقاين أيضاً فقد سلامه ، وأصبح قلقاً ، وتائهاً وهارباً في الأرض ،
لأنه انفصل بالخطية عن الله ، كما قال « من وجهك أحتقن ، وأكون تائهاً
وهارباً في الأرض » (تك ٤ : ١٤) .

إن الوجود مع الله هو السلام الحقيقي ، لذلك قال المرتل في المزمور
« صرفت وجهك عني فصرت قلقاً » (مز ٣٠ : ٧) . من أجل هذا كانت
أعمق صرخة يوجهها المصلي إلى الله هي :

لا تحجب وجهك عني ، لا تطرحني من قدام وجهك (مز ٥٠)

إن داود النبي ، وهو شاعر بوجوده مع الله ، كان يغني على المزمور
والقيثار في فرح وتهليل ، و يدعو الناس إلى مشاركته ، فيقول « هللوا
للرب يا كل الأرض . اعبدوا الرب بالفرح . ادخلوا دياره بالتهليل »
(مز ١٠٠ : ١ ، ٢) . ولكنه لما أخطأ ، ولم يعد يشعر بالوجود السابق في
حضرة الله ، قال « إشفني يارب فإن عظامي قد اضطربت ، ونفسي قد
انزعجت جداً » (مز ٦) . هذا الإضطراب وهذا الإنزعاج ، ما كان لهما

وجود ، وهو مع الله . فبالخطية يفقد الإنسان سلامه « الأشرار كالبحر المضطرب ، لأنه لا يستطيع أن يهدأ ، وتقذف مياهه حمأة وطيناً . لا سلام ، قال إلهي للأشرار » (أش ٥٧ : ٢٠ ، ٢١) .

ولكن متى يرجع إلى الخاطيء سلامه ؟

عندما يتوب ، و يعود للوجود مع الله ، يعود إليه سلامه ...

لهذا عندما يتوب الخاطيء ، و يتخلص من حمل خطاياها ، و يسمع صلاة التحليل ، و يشعر أنه قد اصطلع مع الله ، و عاد إلى أحضانه مرة أخرى ، حينئذ يشعر بالفرح و بالسلام ...

• كان فاقداً سلامه لشعوره بأنه قد أحزن روح الله داخله ، وانفصل عن الرب ، و فقد العزاء الداخلى النابع من الوجود مع الله ، ولم تعد له دالة معه ، ولم يعد له وجه يستطيع أن يرفعه إليه . أما بالتوبة فقد استعاد كل هذا ، ورجع إلى الله وإلى عشرته .

إن الشعور بالحرمان مع الله ، قد يفعل ما هو أكثر من فقدان السلام . قد يوصل إلى الكآبة الدائمة ، وإلى فقد الأعصاب ، وإلى اليأس القاتل ، وقد يؤدي إلى الإنتحار كما حدث ليهودا ...

أما الرب - في وجوده معنا - فيعطى سلاماً لكل من يعتصم به ،

حتى لأدنس الخطاة ...

أنظروا إلى المرأة التي ضبطت في ذات الفعل ، كيف كانت في خجل

ميت ، وفي عار ، وقد أمسك بها القساة لكي يرموها بالحجارة ... ولكنها لما وجدت في حضرة الرب ، أعاد إليها سلامها . دافع عنها ، وخلصها من الذين أدانوها و يريدون قتلها . وقال لها عبارته المملوءة عزاء « وأنا أيضاً لا أدينك » (يوحنا : ٨ : ١١) ، فمضت من عنده بسلام ، سلام من تخلص من الدينونة ... كما قال أيضاً للخاطئة التي بلت قدميه بدموعها « مغفورة لك خطاياك ... إذهبي بسلام » (لوقا : ٧ : ٤٨ ، ٤٩) .

وفي الوجود مع الله ، كما يشعر الإنسان بسلام من جهة دينونة خطاياها ، يشعر أيضاً بسلام في ضيقاته ومخاوفه :

حتى إذا « تزعزعت الأرض ، وانقلبت الجبال إلى قلب البحار » يصيح المرتل في ثقة « الرب إله القوات معنا ، ناصرنا هو إله يعقوب » و يدعو الناس إلى مشاركته في فرحه قائلاً لهم « هلموا فانظروا أعمال الرب ، التي جعلها آيات على الأرض » (مز ٤٦) .

أليشع الذي كان يرى الله وعمله معه ، لم يخف حينما كانت جنود الأعداء محيطة بالمدينة ، أما تلميذه جيحزي فخاف ، لذلك صلى أليشع من أجله قائلاً : « افتح يا رب عيني الغلام فيرى » .

نحن محتاجون أن يفتح الله أعيننا ، لنرى وجوده معنا ...

حينئذ نطمئن ونحيا في سلام ، واثقين بعمله ، و بأن قوة سماوية تحيط بنا ، و بأن الله قد أرسل ملائكته لتحفظنا من كل شر ومن كل ضربة ، وأنت دائماً في حمي الله الذي نشعر بوجوده معنا . وهكذا في كل

شكلة تصادفنا ، نقول هذه العبارات الثلاث :

مصيرها تنتهى - ربنا موجود - كله للخير...

بالإيمان أن ربنا موجود معنا ، نثق أن كل مشكلة لا بد ستنتهى وأن
كل الأشياء تعمل معاً للخير ، للذين يحبون الرب » (روم ٨ : ٢٨) .
ضع الله بيننا وبين الضيقة ، فتختفى الضيقة ، ونرى الله وحده ، فى محبته
حنانه ورعايته .

وهكذا سلامنا لا ينبع من أسباب خارجية ، وإنما من إيمان
اخلنا ، بوجود الله معنا وبعمله لأجلنا .

الله الضابط الكل ، الصانع الخيرات ، الحافظ المعين المنقذ...
إتينا لا نفكر فى الضيقة ، بل فى الله الذى يحلها . أما الذى يركز فى
ضيقات ، ناسياً وجود الله ، فإنه يتعب .

وهذا واضح فى الحياة العملية ، بأمثلة كثيرة :

أم يتأخر ابنها الصغير ليلاً ، فتضطرب جداً ، وتفكر فى حوادث
سيارات ، وحوادث الخطف ، وأذية الناس لإبنها ... وتقلق . ترى أين
ها الآن ؟ فى مستشفى ؟ أم مات ؟ أم فى بيت غريب ... ؟ على أن هذه
أم ، لو فكرت فى الله الذى « يحفظ الأطفال » (مز ١١٦) لاستراحت
طمأنت .

مثال آخر : إثنان يبيتان فى مغارة فى الجبل : أحدهما يفكر فى الذئاب
شعابين والحيات والعقارب ودبيب الأرض ، فيخاف ولا يقدر أن ينام ،

و ينتظر شراً وخطراً في كل لحظة!! أما الآخر إذ يؤمن بوجود الله معه
وحفظه له ، يبيت مطمئناً .

إن الظروف الخارجية واحدة ، ولكن مشاعر القلوب تختلف !

فيفقد الإنسان سلامه ، إن فقد شعوره بوجود الله معه .

طفل في ميدان عام ، يموج بوسائل المواصلات ، لا يخاف مادام يشعر
بأن يد أبيه ممسكة بيده . أما إن شعر أنه وحده ، وأباه ليس موجوداً ، فإنه
يصرخ في فزع . هكذا نحن في شعورنا بوجود الآب السماوي معنا . وهكذا
بطرس على الماء ، في شعوره بيد المسيح ممسكة بيده ...

إن نظرت إلى البحر تخاف . أنظر إلى عصا موسى ...

حينئذ تطمئن ، وتشعر بقوة إلى جوارك هي قوة الله العاملة مع موسى
وعصاه ، وإذ تتأكد من وجود الله وعمله ، تتذكر قول موسى « الرب
يقاتل عنكم وأنتم تصمتون » .

بكل اطمئنان وسلام قلبي ، كان الشهداء يتقدمون إلى الموت ، غير
مفكرين في العذابات ، إنما كان يفكرون في الوجود مع الله في الأبدية
فيمتثلون سلاماً .

في الوجود مع الله قوة وشجاعة وعدم خوف ...

إن القديس بولس الرسول ، الذي يشعر بوجود الله معه وفيه ، الذي
قال « بل المسيح يحيا في » (غل ٢) والذي قال « وأوجد فيه »

(في ٣) وهو أيضاً قال عبارته الخالدة « أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني » (في ٤ : ١٣) . كان يشعر بقوة معه ، أو بقوة الله معه ... لذلك كان بكل جرأة يشهد لكلمة الله ، وكانت لكلماته قوة . وفيما هو يتكلم عن البر والدينونة والتعفف ، إرتعب فيلكس الوالي ، الذي كان بولس أسيراً أمامه ! (أع ٢٤ : ٢٥) .

وإيليا النبي ، الذي كان أيضاً يشعر باستمرار بوجوده في حضرة الله ، وكان يقول « حتى هورب الجنود الذي أنا واقف أمامه » (١ مل ١٨ : ١٥) . إيليا هذا ، استطاع بكل شجاعة أن يذهب إلى آخاب ويبكته (١ مل ١٨ : ١٨) . وبنفس الشجاعة ، يوحنا المعمدان بكت هيرودس .

بنفس الشجاعة دانيال النبي ، صعد إلى عليّة منزله ، وفتح نافذته المطلّة على أورشليم ، وسجد لله العلي ، ولم يخف من جب الأسود ... إن كان الله موجوداً في كل مكان ، فهو موجود أيضاً بلا شك في جب الأسود ، يستطيع أن يحمي وأن ينقذ ...

الذين يشعرون بالوجود مع الله ، لا يخافون حتى من الشياطين ... إن حياة القديس الأنبا انطونيوس مثال واضح لذلك ... بل له مقالة عن ضعف الشياطين . الذين لهم وجود مع الله ، ليس فقط لا يخافون الشياطين ، بل يطردونهم ، لأن الله أعطاهم سلطاناً على قوة العدو ، وكما قال الرسول « قاوموا إبليس فيهرب منكم » (يع ٤ : ٧) .

جميلة عبارة « يهرب منكم » ! ... منظر رائع أن يرى الشيطان يهرب من إنسان ! ولكنه الإنسان الذي يكون الله موجوداً معه . كما كانت تهرب من داود النبي الشياطين التي تحارب شاول ، ذلك لأن داود حل عليه روح الرب . وكان الرب معه ، و بوجوده معه تخافه الشياطين ...

إن الوجود مع الله ، وجود في حالة البر والقداسة ...

وهذه القداسة تخافها الشياطين . إن مجرد ذكر إسم القديسة يوستينة ، جعل الشيطان يهرب ، فأمن كبر يانوس الساحر...

كل إنسان يشعر بوجوده في حضرة الله ، لا يستطيع أن يخطئ ، والشرير لا يمسه . مثلما كان يقول يوسف الصديق « كيف أخطئ ، وأفعل هذا الشر العظيم أمام الله » ؟! ...

الإنسان الموجود مع الله ، هذا يسكن فيه روح الله ، وبسكناه فيه ، تظهر ثمار الروح في حياته ، ومنها الصلاح أى البر ، ومنها الفرح والسلام ...

لذلك إن أخطأ إنسان ، بدلاً من أن نبحث الأسباب الخارجية التي دعتنا إلى الخطية ، علينا أن نسأل سؤالاً واحداً وهو : هل الله موجود في حياة هذا الإنسان أم لا ؟

إن كان الله موجوداً في حياته ، تكون حياته براً وفرحاً ...

وتكون حياة محبة وسلاماً . بل تكون حياته هي صورة لملكوت الله على الأرض ...

ما أجل الوجود مع الله . إنه متعة الروح هنا على الأرض ، وهو أيضاً
عيدها الأبدى في السماء .



فهرست

صفحة

٥	تصدير
٧	١ - الوجود مع الله
٣١	٢ - أوقات الإحساس بالوجود مع الله
٤٥	٣ - شهوة الوجود مع الله
٥٣	٤ - طبيعة العلاقة مع الله
٦١	٥ - مشاعر الوجود مع الله
٦٥	مشاعر الحب
٧٥	مشاعر الفرح
٨٣	مشاعر السلام
٩٣	فهرست الكتاب